الأُسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين

د. الشيخ محمد الكروي القيسي *

المقدّمة

وتشتمل على أمرين:

الأوّل: التمهيد

لا شكّ في أنَّ العلم قوام كلّ شيء ولبّه، فهو «**رأس الفضائل**»[١] وغايتها[٢]، بل هو «**حياة الإسلام، وعماد الدين**»[٣]، كما ورد عن الرسول الأكرمﷺ قوله: «**بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرف الله ويُوحّد**»[٤].

وممّا لا شكّ فيه أيضاً أنّ المجتمعات البشرية ـ مع تطوّر العلوم وتشعّبها ـ أخذت تتّجه نحو مراعاة التخصّص في العلوم، وبدقّةٍ كبيرة؛ لأنّ طبيعة العلم تقتضي ذلك، إذ القواعد العلمية التي تحكم كلّ علم لا يمكن أن يتقنها ويحسن استخدامها إلّا مَن أشبعها بحثاً، ووسعها علماً، وأحاط بها خبرةً، ولأجل ذلك أصبح التخصّص ومراعاته من ضروريات العلم التي لا يمكن إغفالها.

---

* دكتوراه في الفقه الإسلامي، من العراق.

(١) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٦٤.

(٢) فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «غاية الفضائل العلم». الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٠٦.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٣، ص٢٠٦٥.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٧١٣.

وليست الخطابة الحسينية بمنأى عن هذا القانون العام؛ إذ هي اختصاصٌ قائمٌ على العلم كبقية الاختصاصات، بل هي اختصاصٌ علميّ مركّبٌ من عدّة اختصاصات، لذا فترك معاهدها ومدارسها ـ التي أخذت على عاتقها إعداد الخطباء الحسينيين تعملُ بشكلٍ عفويٍّ غير مؤسَّس على قواعد وأُسس متينة، أمرٌ على خلاف ما ينبغي، بل أقلّ ما يقال فيه: إنَّه لا يواكب تطوّر الزمان والإنسان؛ ممَّا يجعل الخطابة ـ التي ينبغي أن تكون في رأس ركب الإسلام ـ في مؤخرة ذلك الركب وفي ذيله ـ لا سمح الله ـ وهذا يعني وأدها بإهالة تراب الجهل عليها، وخسارة أهمّ أداةٍ من أدوات النهضة الحسينية المباركة، وسلبها تأثيرها المهمّ في إيصال صوت الإسلام لكلّ سامعٍ حيّ.

لذا؛ فهذا المقال محاولةٌ لوضع كلّ ما يمكن أن يكون أساساً علمياً لعملية بناء المعاهد التي تُعنى بإعداد الخطيب الحسيني.

الثاني: في أهمّية الخطابة، ومكانة ودور الخطيب

لن نحاول ـ فيما يلي من النقاط ـ أن نسطّح البحث، ونمدّه في اتجاهات سبق بحثها، بل سنأخذ كثيراً من المسائل كأُصول موضوعة، دُرِست ونُقِّحت في محلّها، مثل: تعريف الخطابة والخطيب، وهل أنَّ الخطابة علم أو ليست بعلم؟ وما هو موضوعها؟ وغير ذلك من المباحث.

لكن ما يهمّنا هنا هو: إبراز أهمّية الخطابة الدينية، ودور الخطيب بصورةٍ عامّة. ثمَّ نبحث بصورةٍ خاصّة أهمّية ومكانة الخطابة والخطيب الحسيني؛ باعتبارها ظاهرةً قديمة جديدةً، حيةً، تتفاعل كلّ يوم مع المجتمع، وتؤثّر وتتأثّر به.

فلا غرو إن قيل: إنّ «**الوعظ الديني هو الأمر بالمعروف في الدين، والنهي عن المنكر فيه، وقد اجتمعت عليه الشرائع، واتفقت على وجوبه الأديان**»[1]، وقيل: «**قد نطق**

(١) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص١٥٢.

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو تنزيل العزيز الحكيم بمثله، فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: الديانة الحقيقية، (بالحكمة) أي: بالبرهان[1]، وذلك لمَن يحتمله، ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ أي: بالخطابة، وذلك لمَن يقصر عنه [أي: عن البرهان]، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أي: بالمشهورات المحمودة، فأخَّر الجدل عن الصناعتين؛ لأن تينك مصروفتان إلى الفائدة، والمجادلة مصروفة إلى المقاومة»[2].

وبما أنّ «صناعة الخطابة عظيمةُ النفع جداً؛ وذلك لأنّ الأحكام الصادقة فيما هو عدل وحسن أفضل نفعاً، وأعمّ على الناس جدوى من أضدادها، وذلك لأنّ نوع الإنسان مستبقى بالتشارك، والتشارك محوج إلى التعامل والتجاور، والتعامل والتجاور محوجان إلى أحكام صادقة في الأمور العملية، بها ينتظم شمل المصلحة، وبأضدادها يتشتّت، وهذه الأحكام تحتاج أن تكون مقرّرة في النفوس، ممكَّنة من العقائد، وقد بيّنا أنّ البرهان قليل الجدوى في حمل الجمهور على العقد الحق، وبيّنا أنّ الخطابة هي المتكفِّلة به، فإحدى فضائل هذه الصناعة غناؤها في تقرير هذه الأغراض في الأنفس»[3].

والكلام المتقدّم فيما لو أفادت الخطابة مجرّد الظن وحسب، فكيف والخطابة ـ مورد البحث ـ تفيد القطع والجزم في كثير من الأحيان؛ لورود الأدلّة البرهانية فيها؟!

ثمَّ لا يخفى أنَّ الخطابة هي إرثٌ نبويٌّ وإماميٌّ، فما من نبيٍّ ولا إمامٍ إلّا وهو أفضل خطباء زمانه وأبلغهم وأفصحهم، سواء بالفعل أو بالقوة.

فالخطيب الحسيني ينبغي أن يكون صورةً من صور ذلك الإرث، وهو أبرز مصاديق الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، ومن الذين ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[4].

(١) البرهان، أو صناعة البرهان: أحد الصناعات الخمس التي تدرس في علم المنطق، وعرِّف بأنَّه: «قياسٌ مؤلّفٌ من يقينيات، ينتج يقيناً بالذات اضطراراً»، المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٣٦٠.

(٢) المحقّق الداماد، محمد باقر، اثنا عشر رسالة: ج٤، ص٦.

(٣) ابن سينا، أبو علي، المنطق: ج٢، ص١٨٥.

(٤) الأحزاب: آية٣٩.

فعن طريق الخطابة بيَّن أولياء الله تعالى الوجه المشرق لدين الله، وأوضحوا معالمه، وحدّدوا حدوده، وذكّروا بالله تعالى.

إطلالة سريعة على تاريخ معاهد الخطابة

من المعلوم أنّ العمل المؤسّسي بالنسبة للخطابة الحسينية بدأ متأخراً جداً، ولعلّه لم يسبق القرن المنصرم، فكان المنبر قبل تلك الحقبة ـ بغضّ النظر عن العلل والأسباب ـ يعتمد الجهود الفردية، والقابليات الشخصية المحضة، وفي أواسط القرن الماضي ظهرت محاولات جادّة لتأطير تلك الجهود الفردية بإطار مؤسّساتي، وبرز من تلك المحاولات:

أ ـ محاولة الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره

وذلك من خلال جمعية (منتدى النشر) الدينية و«**من قبل جملة من أعضائها الكفوئين، والذين أدركوا حاجة المنبر الحسيني إلى النهوض على مستوى يتناسب والتراث الفكري للشيعة، كما يرتفع بالمنبر عن الهبوط، وفي طليعة هؤلاء والمحرك الأوّل: الشيخ محمد بن شيخ الشريعة... واشترك في هذه المحاولة مع الشيخ المظفر، وشيخ الشريعة، كلّ من: الحجّة الراحل الشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ محمد الحسين المظفر، والخطيب الجليل ـ خطيب الثورة العراقية ـ الشيخ محمد علي القسام، وجملة من الخطباء، منهم: الشيخ جواد القسام، والسيد جواد شبر، والشيخ مسلم الجابري، والسيد عبد الحسين الحجار، وكنت** [والكلام للشيخ أحمد الوائلي] **من ضمنهم وأنا صبيّ**»[1].

ويرجع الشيخ الوائلي رحمه الله أسباب وأد تلك المحاولة في مهدها إلى:

١ ـ عدم نضوج تصوّر المشروع في نظر الكثير، لكي يحظى بالقبول، إذ لا يُكتفى بالتأييد فقط.

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤٤.

٢ ـ كان ينبغي تهيئة الأجواء ـ خصوصاً في أوساط الخطباء ـ والتبليغ والإعلام عن المشروع بالطريقة التي لا تثير حساسية الآخرين.

٣ ـ علاقة بعض القائمين على المشروع المتشنجة مع بعض الأوساط الدينية ذات الثقل الاجتماعي.

٤ ـ لم يكن ينبغي أن يطرح المشروع على أنّه مؤسسة كبيرة، فكان العنوان أكبر من المعنون بمراتب كثيرة.

٥ ـ وجود مقولات نشرها بعض المتحمِّسين للفكرة، تحت عناوين مدوّية مفادها: (تصحيح مسار المنبر)، أو (إبعاد الجهلة عنه)، أو غير ذلك؛ ممَّا أثار الطرف المناوئ[1].

ولأجل ما تقدّم من أسباب، لم يُكتب لتلك المحاولة النجاح، فوُلدت ميّتة.

ب ـ محاولة السيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر قدس سره

وهي محاولةٌ جادّةٌ، وخطوةٌ عظيمةٌ ـ لو كُتِب لها النجاح ـ فقد كانت بحقّ محاولةً تأسيسيةً تأصيليةً لجعل الخطابة الحسينية مؤسّسة فاعلة، لها قواعد وأصول راسخة، وقد نُقل عن الشيخ الوائلي شخصياً أنَّ السيد الشهيد الصدر قدس سره خاطبه قائلاً: «**إنّ لك عليَّ الأُمور التالية، وعليك أن تحرّك مشروع العمل المؤسّسي للخطباء**»[2]، وكأنَّه قدس سره استشعر ضرورة العمل المؤسّسي للمنبر ولا بدّيته.

وأمَّا الأُمور المفصلية التي تعهّد بها السيد الشهيد الصدر قدس سره لجعل الخطابة الحسينية مؤسّسة فاعلة فهي:

١ ـ دمج خطباء المنبر الحسيني بالحوزة العلمية مادّياً، وروحياً، وعلمياً، فقال قدس سره

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج١، ص١٥٧، محاضرة للسيد عبد الله الغريفي.

في ذلك: «**أنا مستعدٌّ لأن أتعامل مع خطباء المنبر كما أتعامل مع طلاب الحوزة، سواء من جانب توفير رواتب، أم رعاية روحية، أم رعاية علمية**»[1]، ويكفي مؤسّسة المنبر ـ إذا ارتبطت بالمرجعية في هذه الجوانب الثلاثة ـ قوةً وتماسكاً وثباتاً.

٢ ـ العمل على إيجاد صيغةٍ لضمان العيش الكريم للخطباء حتى أيام عجزهم أو كبرهم إكراماً لهم، والعمل على إيجاد مؤسّسةٍ مركزيّةٍ لهم تعمل تحت ظلّ المرجعية، وتُعنى أيضاً بوضع مناهجَ موحدةٍ لهم[2].

ولكن هذا المشروع الرائع لم يرَ النور أيضاً بسبب الوضع السياسي المتوتّر الذي عاشته المنطقة ككل، والعراق على وجه الخصوص، في ظلّ سلطة نظام حزب البعث المقبور، واستشهاد السيد الصدر قدس سره.

ج ـ محاولة جمعية التوعية في البحرين

كانت المحاولة في سبعينيات القرن المنصرم، وقد عزا مَن أرَّخ لتلك المحاولة سبب الفشل إلى الإشاعات التي أُثيرت ضدّها، وبأنَّها محاولة لإملاء محاضرات وأفكار جاهزة على الخطباء[3].

ويبدو أنَّ أحد أهمّ القواسم المشتركة في فشل جميع تلك المحاولات المتقدّمة هو عدم الاستقرار السياسي في المنطقة إبّان تلك الحقبة، ومحاولات السلطات المناوئة إجهاض مثل هكذا محاولات ـ ولو بالخفاء ـ عبر وسائل يظهر منها خلاف ذلك، ولا ننسى هنا أساليب النظام البعثي المقبور في محاربته للشعائر الحسينية بصورةٍ عامّة، وللمنبر وكلّ ما يمتّ له بصلة بصورةٍ خاصّة[4] وبأساليب غاية في الخبث.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) أُنظر: المصدر السابق.

(٤) أُنظر على سبيل المثال: حسن، سيد داخل، معجم الخطباء: ج١، ص٢٧١، فما بعد.

د ـ المحاولة الرابعة: النقابة العالمية للخطباء والمبلغين

وهو ما اقترحه الشيخ الكرباسي، إذ قال في تعريفها: «**هي مؤسّسة اجتماعية دينية ثقافية مستقلّة، غير منتمية إلى جهاتٍ رسميّةٍ أو شبه رسميّة، تسعى إلى تطوير المؤسّسة الخطابية بالطرق الحضارية، وحماية الخطيب ـ بغضّ النظر عن انتماءاته الدينية أو السياسية ـ بالوسائل المشروعة والمتاحة**»[1].

وفكرة النقابة تكاد تتجّه صوب الأُمور الإدارية والتنظيمية حفظاً لحقوق الخطيب ورعايةً له، وإن كانت أحدى الخدمات المقدمة لأعضاء النقابة هي فتح معهدٍ للخطابة، لكنّ المقترح ورد مجملاً بلا أدنى تفاصيل، على أنَّ فكرة النقابة لم ترَ النور أيضاً[2].

ليس الغرض من استعراض المحاولات المتقدّمة وضع قائمةٍ بالمحاولات التي لم يُكتب لها النجاح، بقدر ما هو محاولةٌ لدراسة أسباب الفشل والإفادة منها؛ لمعالجتها وتخطّيها مستقبلاً عند التأسيس والبدء بأيّ محاولةٍ جديدة.

المحور الأوَّل: مفاهيم عامّة

وفيه مباحث:

المبحث الأوَّل: في معنى (الأُسس) المبحوث عنها في المقام

لا بدّ في المحور الأوَّل ـ الشامل للمباحث التصوّرية ـ من تحديد معنى (الأُسس)؛ كي تتّضح فيما بعد الأُمور المهمّة في إنشاء تلك المعاهد ـ والتي هي بمثابة القواعد ـ ممَّا عداها، التي تعدّ أُموراً تكميليةً، فيُقال هنا: «**الأُسس، والأساس: كلّ مبتدأ شيءٍ،**

(١) المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي: ص١١٢.
(٢) اُنظر: المصدر السابق: ص١١٩، وص١٢٢.

والأُسس والأساس: أصل البناء...»[1]. والأساس: «**ما يبتنى ويثبت، حتى يجُعل عليه شيءٌ آخر، مادياً أو معنوياً**»[2].

فما نعنيه بالأساس هنا: كلّ قاعدة رصينة يثبت عليها ما يليها، فالبناء العلمي لمعاهد ومؤسّسات تُعنى بتهيئة خطباء كفوئين، لا بدّ أن يكون مبنياً على تلك الأُسس الرصينة، وبدونها تكون تلك المعاهد كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.

إذن، فكلّ أمرٍ علمي يشكّل قاعدة ينطلق منها الخطيب، يُعدّ أساساً لا يمكن التفريط به.

ثمّ إنّ للأُسس علاقةً وطيدةً بالمنهج المتّبع في أيّ علم، إذ: «**هي مجموع ما تتقوّم به الأرضية التي تُبتنى عليها أيُّ قاعدةٍ من الأمور الحسية والمعنوية، وتنتظم هذه الأُسس في قالبٍ يتمثّل بالمنهجية**»[3].

كما لا يمكن التبعيض في تلك الأُسس بالتركيز على قسم منها، وإهمال قسم آخر، خصوصاً في فنّ الخطابة، بحجّة أنَّ الخطيب لا يمكنه أن يكون خطيباً إلّا بإتقانه أطوار النعي ـ مثلاً ـ وإهمال البعض الآخر من الأُسس ـ كإهمال الجانب العلمي مثلاً ـ الذي يعتبر أكثر أهمّيةً للخطيب.

المبحث الثاني: في معنى (العلمية) الموصوفة بها (الأُسس)

لعلَّ لفظ (العلم) ـ على بساطته ـ غاية في العمق، فأبسط ما عُرِّف به على مستوى اللغة أنَّه: «**نقيض الجهل**»[4]، وهو تعريفٌ عامٌّ وواسعٌ جداً.

وعُرِّف اصطلاحاً عند البعض بأنَّه: «**الإدراك مطلقاً، تصوّراً كان أو تصديقاً، يقينياً أو غير يقينيّ**»[5].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٦، ص٦.
(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج١، ص٨١.
(٣) الحجار، عدي جواد، الأُسس المنهجية في تفسير النص القرآني: ص٢١.
(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص٤١٧.
(٥) عبد المنعم، محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص٥٣٣.

كما أُريد منه أيضاً: «**العلم العادي الذي يحصل به الاطمئنان، ويرتفع به التزلزل**»[١]، ويطلق حقيقةً أيضاً على ما لا يحتمل النقيض[٢].

وعليه فالمراد هنا من (الأُسس العلمية) أن يكون كلّ أساسٍ بحسب العلم الذي ينتسب إليه، نظير تعريف (الحكم) ـ مثلاً ـ فهو في علم المنطق غيره في علم العقائد، وهذا قد يغاير ما في علم الفقه و... بل استُعمل في العلم الواحد عدّة استعمالات.

كما أنّ الأُسس العلمية تشكّل الأرضية التي تُبتنى عليها قواعد أيّ منهجٍ من المناهج العلمية، فلكلّ علمٍ منهجه الخاصّ به، و«**المنهج الخاصّ: مجموعةٌ من القواعد وُضعت لتستخدم في حقلٍ خاصّ من حقول المعرفة، أو علمٍ خاصّ من العلوم**»[٣].

فالمنهج الفقهي مثلاً غير المنهج الفلسفي، والأخير غير المنهج التاريخي، والثلاثة المتقدّمة غير المنهج في العلوم التجريبية القائمة على التجربة، وهكذا.

فلا بدّ ـ والحال هذه ـ أن يُراعى في تأسيس المعاهد العلمية للخطابة المنهج الخاصّ بكلّ علم، وهذا يستدعي الاستعانة بذوي الاختصاص للوصول إلى أفضل النتائج.

ولكن «**لا زالت مؤهّلات الإعداد في حاجة إلى تطويرٍ وتجديد، البعض يعتمد المهارات الصوتية الفنية كأساس... والمهارات الصوتية عنصرٌ أساس لا نشكّ فيه، ولكن أقول: ليست هي العنصر الوحيد، بل يجب أن تدخل معه مجموعة عناصر أساسية... فليست الغاية التأكيد على المهارات الصوتية والفنية، بل لا بدّ من التأكيد على المهارات العلمية والفكرية وبقية المؤهّلات الأُخرى الضرورية. إذن أمام المنبر تحدّي المنهج ـ منهج الإعداد ـ وهذا يشكّل تحدّياً صارماً**»[٤].

(١) الحسيني المراغي، عبد الفتاح، العناوين الفقهية: ج٢، ص٢٠٢.
(٢) أُنظر: عبد المنعم، محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص٥٣٣
(٣) الفضلي، عبد الهادي، أُصول البحث: ص٦٦.
(٤) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ص١٥٣ ـ ١٥٤، كلمة السيد عبد الله الغريفي.

وعليه، فلا بدّ من مناهج علمية لمعاهد إعداد الخطباء، ولا يترك الحبل فيها على الغارب.

المبحث الثالث: في المراد من (إعداد الخطيب الحسيني)

من المعلوم أنّ العلم لم يكن يوماً حكراً على أحد، فآمال البشر وطموحاتهم في نيل أعلى الشهادات والمراتب العلمية آمالٌ وطموحاتٌ محترمة، لكن تبقى الحاجة ملحّةً لوجود حلقات وصلٍ تربط بين ذوي الاختصاصات العليا وبين بقية الناس، ومهمّة حلقات الوصل تلك لا تكاد تخفى؛ إذ إنّ نقل المعلومات العالية بقوالب مبسطة، وتنفيذ الخطط العلمية المعقدة، وتنزيلها على أرض الواقع، وربط الناس بالعلماء، هي جزء من مهام حلقات الوصل (الكوادر الوسطية) تلك، ولعل هذه المسألة من الأمور العقلائية.

فعمل الطبيب ـ مثلاً ـ لا يكاد يكتمل لولا وجود معاونٍ له لديه حظٌّ من الخبرة الطبية، وكذا المهندس البارع لا بدّ له من معاون ينفّذ له خارطة بنائه، ويمكّنه أن يتعامل مع العمال البسطاء.

فالكادر الوسطي له الدور الاستراتيجي في تجسيد وتنفيذ الخطط الاستراتيجية على أرض الواقع، لذلك نرى أنَّ الدول كلَّما تقدَّمت في مجالات العلوم، كلّما توسعت كوادرها الوسطية عِدّةً وشدّةً.

لذا أُنشئت في كثير من الدول مؤسّسةٌ تُدعى(مؤسّسة المعاهد الفنية) تُعنى بـ: «**إعداد الأُطر الفنية الوسطى، التي تتولّى تنفيذ التوجيهات والتعليمات والخطط والتصاميم الفنية، وتكون حلقة وصلٍ بين الاختصاصيين والعمال الماهرين**»[1].

والمعارف الدينية ـ التي هي من أشمل المعارف، وأشرفها، وأعمقها ـ ليست

(١) أُنظر: القوانين والتشريعات العراقية، قانون مؤسّسة المعاهد الفنية، رقم٣٤، سنة ١٩٧٦م، موقع: wiki.dorar.aliraq.net

مستثناةً من تلك القاعدة العقلائية، فلا بدّ من حلقاتٍ وسطى تربط ذوي التحصيل العالي في المعارف الدينية بالقواعد الشعبية، والخطباء الحسينيون من أهمّ تلك الحلقات.

ولعظم مكانة الكادر الوسطي الديني، وخطورته، وحساسية دوره في نقل إرادة علماء الدين الأكابر ومراجعه، وتجسيدها في أوساط الناس، يذكر لنا التاريخ الحديث أنَّ المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني[1] أوجب على الشيخ محمد تقي الگنابادي (الشيخ البهلول)[2] ارتقاء المنبر، وجوباً عينياً؛ لتحريض الناس ضدّ القوانين التعسّفية الجائرة التي سنّها رضا خان البهلوي (حاكم إيران آنذاك)[3]، بل خاطب الشيخ حينما علم أنَّه قدِمَ إلى النجف للدراسة ونيل الاجتهاد، قائلاً: «... **وإلى أن تصبح أنت مجتهداً، فإنَّ الشاه رضا خان قد أتى على كلّ شيء، ولم يُبقِ مسلماً في إيران ليقلّدك**»[4].

وعليه، فالمراد من إعداد الخطيب الحسيني هو تهيئته لأن يمارس بحقّ دور حلقة الوصل التي تربط الناس بقادة الدين وعلمائه، وذلك لا يتأتّى لَمن لا يملك حدوداً

(١) أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤هـ ـ ١٣٦٥هـ): من أعلام فقهاء الإمامية، ومن أشهر مراجع التقليد، انحصرت به المرجعية بعد وفاة الميرزا محمد حسين النائيني سنة (١٣٥٥هـ)، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في سائر الأقطار الإسلامية. اُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ج١٤، ق١، ص٢٢.

(٢) وهو من أكابر الخطباء الحسينيين في إيران، ولد سنة (١٩٠٠ م) في قرية (بيلند) من توابع مدينة (گناباد)، حفظ القرآن وارتقى المنبر ولم يتجاوز عمره (١٤) عاماً، اضطرّته المواجهة مع بعض الفرق المنحرفة إلى مغادرة قريته، وفي عمر الـ (١٦) بدأت مواجهاته مع النظام البهلوي الظالم، وبعد جهادٍ مريرٍ اضطرّ إلى الهجرة إلى أفغانستان بعد ثورة مسجد (گوهر شاد) في مدينة مشهد، والتي كان له قصب السبق فيها، سُجن في أفغانستان قرابة العشرين عاماً، ثمّ عاد إلى إيران. تُوفي عام (٢٠٠٥م)، اُنظر: موقع www.bohloul.com

(٣) اُنظر: الگنابادي، محمد تقي، مذكرات الشيخ بهلول: ص٧١ ـ ٧٢، وموقع: www.bohloul.com

(٤) اُنظر: المصدر السابق.

معيّنة من المعرفة الدينية، والثقافة المجتمعية العامّة التي تؤهّله للعب هذا الدور الخطير، إذ في مجالات العلم الأُخرى لا يُتصوّر وجود كادرٍ وسطيٍّ لا يملك مقداراً معتدّاً به من المعرفة في ذلك الاختصاص، وقلنا: إنَّ المعرفة الدينية ليست بدعاً من بقية المعارف ـ وإن كان لها خصوصياتها الخاصّة بها ـ ولأجل ذلك حثّ ديننا الحنيف على طلب العلم، بل وجعل «**قيمة كل امرئٍ ما يحسنه**»[1].

ولأجل إعداد الخطيب الحسيني إعداداً علمياً رصيناً ارتأى أحد روّاد المنبر المعاصرين رحمه الله: «**شدّ المنبر بالمرجعية الدينية، وتجنيده لأجل أن يتبنى أهداف المرجعية بصورة عامّة ـ لا بالانتماء لواحد بالذات، بل للعنوان العام ـ حتى يتحاشى الاستقطاب، أو يوضع في أجواء منافسة لا مصلحة عامّة فيها. إنَّ ربط المنبر بالجو العام للمرجعية يحقّق جملةً من الفوائد، أهمّها: الالتزام بالضوابط العلمية، وانعكاس الأخلاق الشرعية على سلوك الخطيب، وسدّ الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون، والالتحام بالهدف الأساسي من المنبر، وهو كونه قناة للدفاع عن بيضة الإسلام مجسّدةً في أشخاص نواب الأئمة**»[2].

المبحث الرابع: لماذا المعاهد العلمية؟

ممَّا لا شكّ فيه أنَّ (المؤسسة) تعني تظافر الجهود لعملٍ ما، فهي تعني الاجتماع والتعاون وتبادل الخبرات وتراكمها لأداء عملٍ ما، وفي قبال ذلك الفردية التي تعني أداء العمل اعتماداً على جهود وخبرة الفرد.

لذا؛ فإنَّ العمل المؤسّسي أصبح ـ مع اتّساع رقعة الإسلام، وتفتّح أذهان الناس، وسهولة الاطّلاع على المصادر ـ ضرورةً لا بدّ منها، وفي قبال ذلك فإنَّ «**غياب العمل**

(١) هذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٥٨.

(٢) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١١٧.

المؤسّسي يشكّل أخطر التحدّيات. لم يعُد المشروع المنبري مشروع أفراد، الآن نحن في عصر المؤسّسات، في عصر كياناتٍ نظامية، فلا يمكن أن يبقى مشروعنا الخطابي ـ وهو المشروع الأخطر في جسم الأُمّة ـ يبقى ممارسات فردية»[1].

ثمّ إنّ الشعائر ككلّ، والمنبر الحسيني على وجه الخصوص يواجهان عدوّاً منظماً، مؤسّساً ضمن مؤسّسات غاية في التخصّص والدّقة، فعلى هذا لا يمكن مواجهة هكذا عدوّ ـ بنى قدراته على الإحصاء والمعلومات ـ بجهودٍ فردية؛ إذ في ذلك إضعافٌ لقدرات المنبر، وتهميشٌ لدوره.

ومن جهةٍ أُخرى، فإنَّ المؤسسة تشكّل ضمانةً أكيدةً للخطيب الحسيني نفسه[2]، لكن يبقى التأكيد على أن تكون تلك المؤسّسات تحت غطاء المرجعية الدينية؛ ضماناً لها من الميل لأي اتّجاه قد يحرف مسيرتها.

لذلك ذكر أحد المختصّين في نطاق استعراضه للمؤسسات التي يمكن ـ تصوراً ـ أن تطوّر المنبر، فخلص إلى أنَّ الجهة أو المؤسّسة «**التي نراها متعيّنة هي المرجعية الدينية، على أن تكون** [المنبر] **مؤسّسةً من مؤسّسات المرجعية الحوزوية... وإذا تمّ ربط معهد الخطابة بالمرجعية فسيحقّق الأُمور التالية:**

أ ـ ...توفير الجانب الروحي في ممارسات المنبر وسلوكيته، والتقيّد بمزاج الحوزة وأخلاقياتها.

ب ـ ضمان علمية المنبر، وتضلّعه بأهمّ المقوّمات وهي العلوم الإسلامية... [و] يوفر القدرة للخطيب على مواجهة الحوادث وتكييفها داخل ضوابط الشريعة، وبالتالي سلامة عقائد وسلوكيات الجمهور الذي يجلس تحت المنبر.

ج ـ توفّر عملية ربط المنبر بالمرجعية؛ ضماناً للخطيب الذي قد يعجز عن ممارسة

(١) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج١، ص١٥٤، كلمة السيد عبد الله الغريفي.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

مهنته لكبر.

د ـ يُوجِد هذا الانتماء تلاحماً في كلّ الهيئات ذات الارتباط بالمرجعية، وخصوصاً الخطباء، لقيامهم بدور هام في تثبيت أركان المرجعية، ودعوة القواعد للارتباط بأئمتها»[1].

ولعلّ الأمر أشدّ وأكثر ضرورةً فيما يتعلّق بالخطابة النسوية؛ إذ من الواضح أنّ تلك الخطابة غارقة بالفردية، ولا زال المجلس الحسيني النسوي في كثير من الأماكن يعتمد على ما يُسمى بـ (الملاية)، التي تعتمد غالباً في مجلسها على الرثاء وحسب.

إذن، الضرورة قائمةٌ على إنشاء معاهد تأخذ بأيدي الخطباء الحسينيين لرفد المنبر الحسيني، الذي أصبح شعاراً من شعارات النهضة الحسينية المباركة.

المحور الثاني: الأُسس العلمية المتصوّرة لتلك المعاهد

ويمكن تقسيم تلك الأُسس إلى قسمين:

القسم الأوَّل: أُسس علمية متغيرة الموضوعات

قبل الكلام في هذه الأُسس قد يتبادر إلى الذهن تساؤل لا بأس بإلقاء الضوء عليه، وهو: كيف يُتصوّر وجود أساس لا يتّسم بالثبات؟ وجواب ذلك: إنّ ما يتّسم بالتغيّر ليس نفس الأساس، بل موضوع ذلك الأساس، بمعنى أنَّ أصل مراعاة الزمان أو المكان أو غيرهما، ثابتة لا تغيّر فيها، وإنّما المتغيّر هو أفراد الزمان وآحاده، وأفراد المكان وآحاده وهكذا.

فيجب على معاهد إعداد الخطباء ـ لكي تقوم بأعباء تربية وإعداد خطباء أكفاء ـ أن تراعي الزمان والمكان أو غيرهما، وتعدّ الخطيب لمراعاة ذلك في خطابته.

والتغيّر في موضوعات تلك الأُسس إمّا:

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٦١ ـ ٦٣.

١ـ زماني

فمن المعلوم أثر الزمان في الخطاب، فالخطاب الموجَّه لأهل القرن الحادي والعشرين سوف يختلف ـ حتماً ـ عن الخطاب الموجَّه لأهل القرون السالفة، والأسباب في ذلك معروفة لا داعي لذكرها، إذ المختلف هو طريقة عرض المعلومة، وأُسلوب عرضها ووسائل العرض، ولغة الخطاب، فاختلاف الثقافات بحسب الأزمنة أمرٌ جلي، فإذا لم يوجَّه الخطيب نحو مراعاة الزمان فسيختلّ ركن من أركان خطابته حتماً و«**حسب المرء... من عرفانه، علمه بزمانه**»[١].

وها هم أعظم المبلغين في تاريخ البشرية جمعاء ـ وهم الأنبياء عليهم السلام ـ قد راعوا ظروف زمانهم أعظم الرعاية؛ لعلمهم أنَّ متطلّبات الزمان ضرورةٌ ملحّةٌ لا يمكن إغفالها، ففي الحديث عن الإمام العاشر من أئمّة الهدى عليهم السلام ـ الإمام علي الهادي عليه السلام ـ في جوابه للعالم الكبير ابن السكيت الأهوازي، حين سأله عن علّة بعث موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء، وبعث عيسى بآلة الطب، وبعث محمد صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب، قال عليه السلام: «**إنّ الله لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ الله بعث عيسى عليه السلام في وقتٍ قد ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وأنَّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقتٍ كان الغالب على أهل عصره الخُطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظ وحكمة ما أبطل به قولهم**»[٢].

إذن؛ فمعرفة عادات أهل زمانٍ معيّن، وطباعهم، وحاجاتهم، والأمراض الفكرية والأخلاقية المستشرية فيهم، وما هو المعيب عندهم، وما هو متعارفٌ

(١) كاشف الغطاء، هادي، مستدرك نهج البلاغة: ص١٨٧.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٥.

لديهم، من ضروريات التبليغ الناجح؛ كي يتحاشى المبلّغ حدوث ما يكدّر صفو تبليغه، ويكون فعّالاً فيما يرنو الوصول إليه، لذلك نرى في الحديث المتقدم أنَّ الأنبياء الكرام عليهم السلام جاؤوا أقوامهم بوسائل تبليغية موافقة لمتطلّبات ذلك العصر ومقتضياته.

وبما أنّ شريعتنا الإسلامية تمتاز بعدّة مميّزات، منها: «**العالمية والاستمرار والشمولية لكلّ جوانب الحياة، فهي لم تتأطّر بزمانٍ ولا مكانٍ معيّنين، ولا تختصّ بصنفٍ من الناس ولا بخصوص قومٍ أو جنس، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بُعث إلى الناس كافّةً، وفي شتى أقطار الأرض... في أيّة بقعةٍ وُجدوا، وفي أيّ زمانٍ عاشوا، فدعوته صلى الله عليه وآله عامّةٌ للناس، وفي الوقت ذاته أنَّها تستوعب مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وتقدّم الحلول لجميع معضلاتها... سواء في المسائل العبادية والروحية، أو الأُمور التربوية والأخلاقية، أو الحقوق الاقتصادية...**»[1].

وهذا يقتضي أن تستوعب الشريعة كلّ متغيرات الزمان والمكان، وأن تُعدّ لكلّ تغيّر في الزمان ما يناسبه من المواقف. والمنبر ـ كما لا يخفى ـ أحد ألسنة الشريعة، فهو محكومٌ بحكمها، وتبعاً لذلك عليه أن يواجه التغير بالزمان بما يناسب فعالياته وإمكانياته وجهوده التي يقوم بها.

ولذا؛ لا بدّ أن تُؤسّس معاهد إعداد الخطباء الحسينيين على أُسس وضوابط يُراعى فيها تأثير الزمان في الخطاب.

وقد ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «**إنَّك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، وإذا فعلوها فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم زكاةً تُؤخذ من أموالهم فتُرد على فقرائهم...**»[2].

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، بحوث فقهية مهمّة: ص٢٣٥، وص٢٣٧.
(٢) ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان: ج١، ص٣٧٠.

وممَّا يتعلَّق بالأُسس الزمانية أيضاً ما ورد في الحثّ على اختصار الخطب، وعدم إطالة الخطبة أو المجلس ـ وهو ما يُبتلى به بعض الخطباء ـ فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**جودة الكلام في الاختصار**»[1]، و«**الكلام كالدواء قليله ينفع، وكثيره يهلك**»[2]، و«**الإكثار يزل الحكيم، ويُمل الحليم، فلا تُكثر فتُضجر**»[3].

فكما وُضعت وأُلّفت بحوث علمية ضخمة حول تأثير الزمان في تبدّل الموضوعات الفقهية، أو أُسلوب تنفيذ الحكم[4]، كلّ ذلك في علم الفقه، فليكن شبيه ذلك في المنبر، ففي الوقت الذي كان المنبر عبارة عن ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام فقط في غابر الأيّام، أصبح اليوم مدرسةً علميّةً تُثري الثقافة الدينية بصورةٍ عامّة.

٢ـ أو (مكاني)

أي: أثر المكان في الخطاب الحسيني، وهذا أيضاً من الأُسس التي لا تخفى أهمّيتها، فمن الضروري جداً أن يُدرّب الخطيب الحسيني على مراعاة المكان في خطابه، فلقدسية المكان ـ مثلاً ـ دورٌ لا يخفى على روّاد ذلك المكان، ممَّا يهيّئ الأجواء العاطفية لطرح المفاهيم الأصيلة للدين، وهذا ما يكون أخفّ صبغةً في غيره من الأمكنة.

كما أنَّ للمساجد والحسينيات خصوصيات قد لا توجد في غيرها من الأماكن أيضاً، إذ «**كما أنَّ للنبات بيئة طبيعية تتفاوت في مقدار صلاحيتها لنموه، فيكون بعضها أكثر ملاءمة وأوفر شروطاً للنمو، وكما أنَّ هناك بيئة اقتصادية تمتاز عن غيرها بملاءمتها للنمو الاقتصادي لتوفّر عوامل غير متوفّرة في مثيلاتها، كذلك هناك أمكنة يترعرع المنبر**

(١) الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص١٧٧.
(٢) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٥، حكمة رقم٦٤٨٢.
(٣) المصدر السابق: ص٤٨، حكمة رقم (١٢٣٩).
(٤) اُنظر: السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١، ص٣٢٢ـ٣٢٦.

وينمو بشكل سليم ومتين فيها؛ لما تحويه من عوامل بنّاءة»[1].

ولا يخفى أنَّ لبعض الأمكنة ـ كمراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام ـ تأثيراً على المخاطِب والمخاطَب ونوع الخطاب؛ لما لتلك الأنفس العظيمة الطاهرة من أثرٍ معنويّ على كلّ مَن اقترب إليها، فهم كالسراج كلّما اقتربت منه ازددت نفعاً.

إنّ الشريعة الإسلامية حوت مدارس زمانية: كشهر رمضان، وأيّام الحج، وأعياد الفطر والأضحى، وأُخرى مكانية: كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الكوفة، ومراقد الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام؛ لذا فأثر المكان ممَّا لا يكاد يخفى في الإسلام وتعاليمه، وهذا الأمر سيّالٌ في كلّ ما يمتّ بصلةٍ للدين الحنيف، ومنه المنبر الحسيني باعتباره مظهراً من مظاهر شعائر الحسين عليه السلام.

٣ـ أو بلحاظ المخاطَب

فمن الأُسس الضرورية التي لا بدّ لمعاهد الخطابة من أخذها بنظر الاعتبار في تنشئة الخطيب الحسيني هو ضرورة مراعاة حال المخاطَب، علمياً وثقافياً، بل وجنسياً (أي: كون المخاطب رجل أو امرأة)، وعمرياً (فخطاب الطفل أو الحدث ليس كخطاب الشاب، والكهل والشيخ)، ولعلّ من روائع الأُسس هنا ما نطق به سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصفه لسيد الأوّلين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه: «**طبيبٌ دوّار بطبِّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وآذان صُمّ، وألسنة بُكم...**»[2]، فهذا هو عمل المبلّغ الرسالي، والخطيب المنتمي لمدرسة الحسين عليه السلام، و«**إنَّما قال** عليه السلام: (**دوار بطبِّه**)، **لأنَّ الطبيب الدوار أكثر تجربةً، أو يكون عنى به أنَّه يدور على مَن يعالجه، لأنَّ الصالحين يدورون على مرضى**

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٠٢.
(٢) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم المواعظ: ص٣١٩.

القلوب فيعالجونهم»[1]، فاستعار عليه السلام لفظ (المراهم) كنيةً عن الرأفة والشفقة في علاج مرضى القلوب ممَّن غلب عليهم الجهل بأحكام الدين، واستعار لفظ (المواسم) ـ وهو جمع مسيم ممَّا يُكوى به في حالات العلاج بالكي ـ كنايةً عن استعمال الشدّة في بعض حالات العلاج، وهي من الطرق المقبولة في الطب، فكثيراً ما يتوقّف العلاج على البتر والقطع لبعض الأعضاء.

فينبغي لمعاهد إعداد الخطباء أن تهيِّئ الخطيب لذلك، بأن يعطي لكلّ ذي داءٍ دواءه، ولكلّ جائعٍ ما يستسيغه من طعام، وهذا يحتاج إلى مقدّمات منها:

أ ـ لا بدّ من معرفة المخاطَب معرفةً تامّةً، فذهاب المبلِّغ أو الخطيب إلى مكانٍ أو بلدٍ مجهولٍ له تماماً، مصطحباً في جعبته محاضرات معدَّة سلفاً، عملٌ ليس بعلمي، وقد لا يأتي بالنتائج المرجوة؛ إذ لا بدّ من معرفة الأمراض الأخلاقية، والحاجات العملية، بل والفئات العمرية، وطبيعة ذلك المجتمع وتركيبته الاجتماعية.

لذا، فمن الضروري جداً إنشاء وحدةٍ للإحصاء والاستقصاء في كلّ معهدٍ من معاهد إعداد الخطباء، تُعنى بجمع المعلومات عن أغلب المدن والقرى التي يرتادها الخطباء، أو تتكفّل المؤسّسات الحوزوية الضخمة بذلك؛ لما للإحصاء من دورٍ علميٍّ مهمٍّ في جميع فعاليات المؤسّسات الدينية.

ب ـ تهيئة العلاج تهيئةً جيّدةً بطرقٍ ملائمةٍ لذلك المكان وذلك المجتمع، فربَّ مرضٍ في مكانٍ ما يحتاج إلى علاجٍ معيّن، ونفس المرض في مكانٍ آخر يحتاج إلى علاجٍ آخر أو طريقةٍ أُخرى للعلاج، «**وإذا أخذنا هذا التفاوت بنظر الاعتبار نفهم أنَّه ليس كلّ كلامٍ يفيد أيّ شخصٍ، فقد يكون ثمّة نمط من التبليغ مفيداً لفردٍ أو جماعةٍ ما، ولكنّه غير مفيدٍ لفردٍ آخر، أو جماعةٍ أُخرى، بل ربّما كان مضرّاً لهم، ومن هنا كان الأنبياء يأمرون بأخذ المقدرة الفكرية والنفسية بنظر الاعتبار**»[2]، وقد ورد عن الإمام

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٧، ص١٨٣.
(٢) الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص١٠٤.

الصادق عليه السلام: «**ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم**»(١).

٤ـ أو بلحاظ نوع الخطاب

ولا شكّ في أنَّ نوع المجلس الحسيني المنعقد له دخالة في صياغة الخطاب، وطريقة إعداده وعرضه، وكيفية تفاعل الجمهور معه، فالمجالس التي لها مساسٌ بالواقع السياسي للأُمّة، غير المجالس المنعقدة للوعظ والإرشاد المحض، والمجلس المنعقد للحثّ على الجهاد ودفع العدو، غير المجلس المنعقد لتأبين شخصية من شخصيات المجتمع،... وهكذا. لذا يجب مراعاة نوع الخطاب عند تنشئة جيل الخطباء؛ إذ إنَّ «**فنون الخطابة تتبع حاجات الأُمّة وأحوالها وشؤونها، والضرورة الدافعة إلى القول الخطابي**»(٢).

وقد كتب بعض مَن اهتمّ بشأن الخطابة فصلاً في ذلك، وتعرَّض لأقسام الخطب ومميّزات كلّ قسم(٣)، وإن كان بعض ما ذكره لا علاقة له بالخطابة الحسينية.

القسم الثاني: أُسس علمية ثابتة

وهي على نوعين:

النوع الأوَّل: أُسس علمية ثابتة نابعة من العقل العملي

ويُقال هنا بدءاً: إنَّ «**العقل النظري، والعقل العملي من شأنهما التعقّل، لكن النظري شأنه العلوم الصرفة غير المتعلّقة بالعمل مثل: الله واحد. والعملي شأنه العلوم المتعلّقة بالعمل مثل: التوكّل حسنٌ، والرضا والتسليم والصبر محمودٌ. وهذا العقل هو**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٣.
(٢) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص١٢٤.
(٣) أُنظر المصدر السابق: ص١٢٣ ـ ١٧٥.

المستعمل في علم الأخلاق، فليس العقلان كقوّتين متباينتين، أو كضميمتين، بل هما كجهتين لشيءٍ واحد وهي الناطقة.

إنَّ الحكمة النظرية قضايا نظرية تنتهي إلى قضايا بديهية، ولولا ذلك لانهار صرح العلوم، وهكذا الحكمة العملية، ففيها قضايا غير معلومة لا تُعرف إلّا بالانتهاء إلى قضايا عملية ضرورية، وإلّا لما عرف الإنسان شيئاً من قضايا الحكمة العملية، ومن تلك القضايا البديهية في العقل العملي مسألة التحسين والتقبيح العقليين، الثابتين بجملة من القضايا، كقولنا: (العدل حسنٌ)، و(الظلم قبيحٌ)، و(جزاء الإحسان بالإحسان حسنٌ، وجزاء الإحسان بالإساءة قبيحٌ)»[1].

وعلى هذا، فالأُسس العلمية الثابتة النابعة من العقل العملي، والتي لا توجد فاصلة بينها وبين العمل بها، والتي لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار في إنشاء معاهد إعداد الخطباء هي:

١ ـ أُسس علمية أخلاقية

وقد تقدم آنفاً أنَّ العقل المستعمل في علم الأخلاق هو العقل العملي، لذا فجميع ما يخصّ علم الأخلاق من الأُسس لا بدّ أن تُراعى من قبل المعاهد العلمية لإعداد الخطباء، ولا يختلف اثنان في أنّ علم الأخلاق علمٌ قائم على أُسسٍ علميّةٍ متينةٍ لها قواعدها الخاصّة، فالتقوى، والورع، والإخلاص، ومداراة الناس، و... من الأُسس التي لا بدّ منها لاستكمال شخصية الخطيب الحسيني، ولذلك وردت أحاديث جمّة تحثّ حثاً مؤكّداً على ضرورة التزام الخلق الرفيع من قبل المبلّغ ككل، والتي تشمل الخطيب الحسيني باعتباره المصداق الأتمّ في ذلك[2]، ونحن نتخب منها شذرات فيما يلي:

ففي الإخلاص، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من عبدٍ يخطب خطبةً إلّا الله سائله**

(١) السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١، ص١٦٩.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: ص١١٨ ـ ١٣٩.

عنها، ما أراد بها»[1]، وأيضاً: «**... وابتغوا بقولكم ما عند الله، فإنَّه يدوم ويبقى، وينفد ما سواه**»[2].

وفي الشجاعة ينبغي أن ينشأ الخطيب على مراعاتها، وعدم مداهنة الجمهور على حساب المبادئ، وقد ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قوله: «**أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله... أن أقول الحقّ وإن كان مرّاً... وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم...**»[3].

وفي الصدق كذلك، إذ ورد عن الصادق عليه السلام: «**أحسن المواعظ ما لا يجاوز القول حدّ الصدق، والفعل حدّ الإخلاص، فإنَّ مَثَل الواعظ والموعوظ كاليقظان والراقد، فمَن استيقظ عن رقدته وغفلته ومخالفته ومعاصيه صلح أن يُوقظ غيره**»[4].

وإمَّا الرفق بالناس فينبغي أن يكون من أبرز سمات الخطيب الحسيني، فهو من أبرز صفات الأنبياء والمصلحين، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**أُمرت بمداراة الناس كما أُمرت بتبليغ الرسالة**»[5]، كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «**وأمّا حقّ المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به**»[6].

وأمَّا الأدب والمنطق الجميل فممّا لا غنى للخطيب عنه، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إيَّاك وما يُستهجن من الكلام، فإنَّه يحبس عليك اللئام، وينفِّر عنك الكرام**»[7].

وأخيراً ـ والذي هو سرٌّ من أسرار النجاح ـ لا بدّ في تنشئة الخطيب من مطابقة أقواله لأفعاله، فإنَّ الفعلَ تبليغٌ بلا لسان، وهو أوقع أثراً في نفس المتلقّي، وقد ورد

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، الصمت وآداب اللسان: ص٢٥٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٦، ص٣٨٨.
(٤) المصدر السابق: ج٧٧، ص٨٤.
(٥) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٤٨.
(٦) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٤، ص١٠٦.
(٧) الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٩٩.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إنَّ الوعظ الذي لا يمجّه سمع، ولا يعدله نفع، ما سكت عنه لسان القول، ونطق به لسان الفعل**»[1].

وهناك أُمور أُخرى ضرورية لا بدّ من تنشئة الخطيب عليها، محلّها علم الأخلاق.

٢ ـ أُسس علمية فنية

إنّ «**الفنَّ بالمعنى العام: جملةٌ من القواعد المتّبعة لتحصيل غايةٍ معيّنةٍ، جمالاً كانت، أو خيراً، أو منفعةً**»[2].

وإنَّما قلنا هنا عن هذه الأُسس: إنّها (علمية وفنية)؛ لأنَّ الفنون لا بدّ أن تكون لها قواعد علميّة تنبع منها، وإن كانت في بعض الأحيان نابعةً من ملكاتٍ ومواهبَ خاصّة، لكن هذا لا يمنع من وصفها بـ(العلمية)؛ إذ إنَّ الفنّ «**مجاله التعبير عمَّا يحدث في نفس الإنسان، فهو بالعلوم الإنسانية ألصق، وإليها أقرب، فيأتي ـ لهذا ـ منهجه المنهج التجريبي**»[3].

كما أنّ «**هناك اتجاهٌ معاصرٌ ينظر للعلم والفنّ بوصفهما مركبٌ واحدٌ في ظلّ ثورة المعلومات والتكنولوجيا المتقدّمة**»[4].

فكثيرٌ من الفنون أصبحت تُدرّس في الأكاديميات، ولها قواعد علميّة مدوّنة، «**وهذا الأمر ينطبق على الإعلام، والبلاغة، والعمارة، والموسيقى، والرسم...**»[5].

والغرض من كلّ ما تقدّم أنَّ هناك أُموراً فنيةً تُعدّ أُسساً علمية لا بدّ منها، ولا يُكتفى فيها بالقدرات الذاتية والمواهب الخاصّة، بل لا بدّ لها من قواعد تدرَّس، وهو المعمول به في أغلب المعاهد، ومنها:

علوم اللغة، وعلوم النطق، وعلوم الصوت والإلقاء، والإشارات، وطرق

(١) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٦، حكمة رقم (١٦١٠).
(٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي: ج٢، ص١٦٥.
(٣) الفضلي، عبد الهادي، أُصول البحث: ص٤٥.
(٤) الشيخ محمد، سامي، العلم والفن، المفهوم والفروق. اُنظر: موقع pulpit.alwatanvoice.com.
(٥) المصدر السابق.

عرض المعلومات، وتدخل ضمن ذلك هيئة الخطيب، وجلسته و... ويمكن جمع جميع ذلك بقواعد فنية تخصّ: الخطيب، والمخاطَب، والخِطاب، فلتُراجع في المطوّلات[1].

وتدخل في هذا القسم علومٌ أُخرى تصبّ في فنّ التعامل الناجح مع الناس، وفنّ إقناعهم، مثل:

علم النفس، إذ «**لا يصل الخطيب إلى غايته ــ وهي إقناع السامعين... وحملهم على المراد منهم... ــ إلّا إذا كان عليماً بما يثير شوقهم... وعليماً بطبائع النفوس وأحوالها، وذلك لا يكون إلّا بعلم النفس... إنَّ علم الخطابة له صلةٌ وثيقةٌ بعلم النفس، إذ يجب أن تكون قوانينُ الخطابة ملائمةً كلَّ الملاءمة لقوانين هذا العلم**»[2].

وكذا علم الاجتماع؛ إذ من الواجب أن تكون «**قوانينُ الخطابة متّصلةً بقوانين الجماعات وناموسها**»[3]، فمعرفة الخطيب لقوانين المجتمع وعاداته وسلوكه ونمط حياته أمرٌ لا بدّ منه.

كما لا بدّ لتلك المعاهد من إعداد الخطيب لمواكبة تطوّر تكنولوجيا المعلومات، والإلمام ببعض مهارات الأجهزة التقنية الحديثة ـ كالحاسوب، والهواتف الذكية ـ التي تساعده على سرعة استخراج المعلومة، وتوفّر له الوقت، وتفهرس له ما يحتاجه من معلومات.

النوع الثاني: أُسس علمية ثابتة نابعة من العقل النظري

والمقصود بالعقل النظري هنا «**إدراك ما ينبغي أن يُعلم**»[4]، وموضوعه: «**العلوم**

(١) أُنظر في ذلك مثلاً: دروس في فن الخطابة، معهد سيّد الشهداء.
(٢) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الصدر، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه: ج١، ص٤١.

الصرفة غير المتعلّقة بالعمل»[1]، إذ العقل النظري «**عبارةٌ عمّا يدرك الواقع بنحوٍ ليس له اقتضاء التأثير مباشرةً في مقام العمل، ولو أثّر في ذلك بالواسطة كإدراك العقل لوجود الله، الذي يؤثّر في مقام العمل بتوسّط إدراك حقّ المولوية له سبحانه**»[2]، فإدراك العقل النظري أنّ للمولى حقٌّ في ذمة مَن أدرك وجوده، يكون مدعاةً للعمل.

وفي ضوء ما تقدّم نستطيع أن نقول: إنَّ الأُسس العلمية الثابتة النابعة من العقل النظري والتي لا بدّ منها في إنشاء معاهد إعداد الخطباء تُتصوّر على أقسام، هي:

١ـ أُسس الاستقاء المعرفي

لا يخفى أنَّ المعلومة هي رأس مال الخطيب؛ إذ قيمته ـ بل «**قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه**»[3] ـ وعلى هذا، فلا بدّ أن يُراعى أساس استقاء المعلومة ومصادرها ووثاقتها عند إعداد الخطيب الحسيني، ومعلومٌ أنَّ الخطابة الدينية لا تساوق الخطابة كصناعة من الصناعات الخمس التي تُدرس في علم المنطق؛ لأنَّ الخطابة الدينية «**كثيراً ما تعتمد على أقوى الأدلّة إلزاماً، وأشدّها قطعاً في الاستدلال**»[4]، بينما الخطابة في المنطق هي من الصناعات المعتمدة على الظن؛ لذا فلا بدّ من منهجٍ يعرِّف الخطيب بأُمّات المصادر المعرفية التي يحتاج إليها؛ كي لا يضطرّ إلى الأخذ من الغثّ والسمين من المصادر، إذ في فروع المعرفة الدينية هناك مصادر مسلّمة لا غبار عليها، تحوي الآراء المشهورة أو المسلّمة التي يمكن الاعتماد عليها، والتي تكفي الخطيب مؤونة البحث في الآراء الشاذة النادرة، التي يصعب إقامة الدليل عليها.

وبما أنَّ موضوع علم الخطابة غير محدودٍ بحدّ، إذ إنَّ موضوعها كلّ ما يتعلّق

(١) السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١، ص١٦٩.
(٢) الحائري، كاظم، مباحث الأُصول: ج١، ص٤٧٧.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٥٨.
(٤) أبو زهرة، محمد، الخطابة: ص١٥.

بأُمور الناس من الشؤون العامّة[1]، فلا بدّ من إعداد الخطيب وتدريبه على أن يتوسّع في مطالعاته وثقافته، مع مراعاة الأساس المتقدّم، وهو الاستعانة ـ في كلّ علم ـ بأُمّات مصادره ومسلّمات قضاياه.

كما لا بدّ من تدريب الخطيب أيضاً على مراعاة المناهج العلمية في مختلف العلوم ـ كما تقدّم ـ فمنهج المعرفة في كلّ علمٍ له مميّزاته الخاصّة، كما أنّ معرفة المنهج تشكّل ركناً هامّاً في عملية الاستقاء المعرفي، ومتابعة مصدر المعلومة، ففي تفسير القرآن ـ مثلاً ـ لا بدّ من اعتماد التفسير المقبول، المعوَّل عليه في أوساطنا العلمية، وفي الحديث لا بدّ أن تُنتخب الكتب المعوَّل عليها حديثياً ـ فضلاً عن تتبّع الروايات محلّ البحث ـ وفي الفقه كذلك لا بدّ أن يُؤتى بالرأي غير الشاذ، وهكذا في بقية العلوم.

٢ ـ علوم لا بدّ منها للخطيب

ولا نقصد هنا العلوم التي تصبّ في مصبّ ما ينبغي أن يُعمل؛ إذ تقدّم ذكر شطرٍ منها، بل نقصد هنا علوماً تصبّ في مصبّ العقل النظري، التي لا بدّ لتلك المعاهد المختصّة من وضعها في الحسبان في إعداد الخطيب للإحاطة بها، فهي وقوده العلمي، وذخيرته في خطابته، ومنها:

أ ـ علوم القرآن الكريم وتفسيره: فعلى الخطيب أن يهتمّ بمطالعة التفاسير، وأن يكون ملماً ببعض علوم القرآن الكريم: كالقراءة، والإعجاز، ومعرفة المحكم والمتشابه، وغير ذلك. ولذا اشترطت بعض المعاهد الخطابية حفظ الخطيب عدداً من أجزاء القرآن الكريم[2].

ب ـ العلم بالسنة المطهّرة للنبي وآله الأطهارعليهم السلام: فلا بدّ من دورة حديثية

(١) اشترطت بعض المعاهد الخطابية حفظ خمسة أجزاءٍ من القرآن الكريم. اُنظر: موقع www.egynews.net.

(٢) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج١، ص٢٠٥، مجموعة محاضرات (محاضرة السيد منير الخباز).

مختصرة للخطيب، يطّلع من خلالها على أهمّ الأبواب الحديثية، وعلى أُمّات المصادر الحديثية، ويُلمّ بمعلومات عامّة عن تلك المصادر: كأسماء مؤلفيها، وعدد رواياتها، وأبوابها الحديثية، ومدّة تأليفها، وغير ذلك من معلومات عامّة في علم الرجال والدراية.

ج ـ أن يكون «**ذا خبرةٍ حوزويةٍ وافرةٍ بالفقه والأُصول والفلسفة وعلم الكلام و... كي يكون قادراً على طرح فكر السماء بمتانةٍ وعمقٍ ودقّةٍ، متميزاً بين الفلسفات الإنسانية المختلفة**»[1].

هـ ـ أن يكون ذا خبرة ممتازة بعلم الخلاف: «**وهو علمٌ يُعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشُبه، وقوادح الأدلّة الخلافية**»[1]، إذ عن طريق هذا العلم يتمكّن الخطيب من إثبات الحقّ والدفاع عن أهله، وردّ شبهات المخالفين والمعاندين وإبطالها.

وزبدة المخضّ وخلاصته: فقد قِيل في علم الفيزياء: إنَّ الجسم كلّما كبرت قاعدة استناده صعب سقوطه؛ فكلّما اتّسعت ثقافة الخطيب، وإلمامه بالعلوم المختلفة نفذت كلماته القلوب، وازداد تأثيره في النفوس.

٣ـ مناهج دراسية لا بدّ منها للخطيب

ولا نقصد هنا بـ (المناهج) المناهج المعرفية التي سبق ذكرها، بل المقصود وضع مناهجَ مدرسية، فلا بدّ من منهجٍ مدرسيٍّ مُعدّ من قبل علماء أكفاء في جميع ما يحتاج إليه الخطيب: من قرآن وعقيدة وفقه وأُصول وتاريخ، وعلم الرجال والدراية والفلسفة، وغيرها من العلوم المهمّة التي لا غنى لأيّ معهدٍ من معاهد إعداد الخطيب الحسيني عنها.

ولكلّ ما تقدم، ولصعوبة إلمام الخطيب بكلّ ما ذُكر «**تولّدت ضرورة ملحّة**

(١) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص٢٩٧.

لإعداد المنبر الحسيني، التي تحتاج مضافاً للدراسة الوافية، وتهيئة الإمكانات المادّية والاجتماعية المهمّة، واختيار الظروف المناسبة لهذا المشروع زماناً ومكاناً، أن تكون تحت مظلّة المرجعية الشيعية، ودعمها ومباركتها؛ لكي تكتسب الثقة والاطمئنان إليها من قبل العامّة من المؤمنين، وكي تشكّل طرفاً ممثّلاً للكيان الشيعي، يمكن لأيّ تيارٍ، أو مدرسةٍ إسلاميةٍ، أو دينيةٍ أُخرى التعامل معه، أو التحاور فيما يخدم المصالح العامّة للمسلمين»[1].

وأخيراً: أصبح الاختصاص المنبري من الأُمور التي لا بدّ منها؛ إذ لا بدّ ـ للنهوض بواقع المنبر، تلك الأداة السامية ـ من إعداد خطباءٍ يحملون ولو جزءاً يسيراً من الهمّ الذي حمله إمامهم الحسين عليه السلام في سبيل توعية الأُمّة، ونشر الفكر الإسلامي الأصيل، إذ كما نحن بحاجةٍ إلى أطبّاء، ومهندسين، وعلماء في شتى العلوم، فنحن بحاجةٍ إلى متخصّصين في المنبر الحسيني، فلا يمكن ترك تلك الأداة المهمّة والمباركة والخطيرة بيد غير الأكفاء أو المتطفّلين عليها.

كما أصبحت الحاجة ماسّةً إلى التخصّص في نفس المنبر الحسيني، بمعنى «**توزيع الأدوار على الخطباء بحسب اختلاف الاختصاصات، فلكلّ خطيبٍ تخصّصٌ ينسجم مع قدراته وإبداعه**»[2]، فنحن بحاجةٍ إلى خطيبٍ متخصّصٍ بفقه المعاملات مثلاً، كما نحتاج إلى متخصّصٍ في فقه العبادات، أو متخصّصٍ في الفلسفة وعلم الأديان، أو الاقتصاد الإسلامي، أو... إلى ما شاء الله من الاختصاصات، فالاختصاص ضرورةٌ حياتيةٌ في عالمنا المعاصر.

(١) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات): ج١، ص٢٠٦، مجموعة محاضرات (محاضرة السيد منير الخباز).

(٢) المصدر السابق.

المصادر والمراجع

١ـ اثنا عشر رسالة، المير محمد الباقر الداماد (ت١٠٤١هـ)، عني بطبعه ونشره ونفقته السيد جمال الدين الميردامادي، بخط أحمد النجفي الزنجاني، طبعة حجرية.

٢ـ الأُسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي جواد الحجّار (معاصر)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣ـ أُصول البحث، عبد الهادي الفضلي (ت١٤٣٤هـ)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم ـ إيران.

٤ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧هـ.

٥ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦ـ بحوث فقهية مهمّة، ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، نسل جوان للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧ـ التبليغ في الكتاب والسنة، محمد الريشهري (معاصر)، تحقيق حميد الحسيني، دار الحديث، قم ـ إيران، ط١، ١٣٧٩ش.

٨ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي (ت١٤٢٤هـ)، انتشارات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٧٨هـ.ش.

٩ـ تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (المتوفى في القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٠ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي (معاصر)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٧هـ.

١١ـ جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي (ت١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم ـ إيران، ١٣٩٩هـ.
١٢ـ الخطابة (أُصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، محمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٣ـ الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك (معاصر)، بيت العلم للنابهين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٤ـ دروس في فن الخطابة، معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط٤، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٥ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربية.
١٦ـ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٧ـ الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق وتعليق محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٨ـ العناوين الفقهية، عبد الفتاح الحسيني المراغي (ت١٢٥٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ.
١٩ـ عيون أخبار الرضا، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه العلّامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٠ـ عيون الحكم المواعظ، علي بن محمد الواسطي الليثي (المتوفى في القرن السادس الهجري)، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١.
٢١ـ غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي التميمي (ت٥١٠هـ)، عُني بترتيبه

وتصحيحه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٢ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ط٢، ١٣٦٣هـ.ش.

٢٣ـ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، أدب الحوزة، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ.

٢٤ـ ما وراء الفقه، محمد محمد صادق الصدر (ت١٤٢١هـ)، المحبين للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧.

٢٥ـ مباحث الأُصول، كاظم الحائري قريراً لأبحاث السّيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٢هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٦ـ مذكرات الشيخ بهلول، محمد تقي الگنابادي، نقلها إلى العربية ورتبها عبد العظيم المهتدي البحراني، مكتبة سفينة النجاة، السالمية ـ الكويت، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٧ـ مستدرك نهج البلاغة، هادي كاشف الغطاء (ت١٣٦١هـ)، منشورات مكتبة الأندلس، بيروت ـ لبنان،.

٢٨ـ معجم الخطباء، سيد داخل حسن، المؤسسة العالمية للثقافة والإعلام، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٩ـ معجم ألفاظ الفقه، أحمد فتح الله الجعفري (معاصر)، مطابع المدوخل، الدمام ـ البحرين، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٠ـ المعجم الفلسفي، جميل صليبا (ت١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣١ـ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة ـ مصر، جامعة الأزهر.

٣٢ـ المنطق، أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا.

٣٣ـ المنطق، محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران.

٣٤ـ مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات)، محمد حميد السلمان، المجلس الإسلامي العلمائي ـ مركز الإمام الحسين عليه السلام للدراسات والبحوث، البحرين، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣٥ـ موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني (معاصر)، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٦ـ ميزان الحكمة، محمد الريشهري (معاصر)، دار الحديث، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

المواقع الإلكترونية

٣٧ـ الشيخ محمد، سامي، العلم والفن، المفهوم والفروق: أُنظر موقع: pulpit. alwatanvoice.com

٣٨ـ القوانين والتشريعات العراقية، قانون مؤسّسة المعاهد الفنية، رقم٣٤، سنة ١٩٧٦م، موقع: wiki.dorar.aliraq.net

٣٩ـ موقع الشيخ بهلول: www.bohloul.com

٤٠ـ موقع: www.egynews.net

ورقة عمل بعنوان
سُبل توحيد الخطاب المنبري الحسيني

الشيخ إسكندر الجعفري*

مقدّمة

لا أحد يُنكر دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، وعلى مدار العصور والأزمان، لا سيّما بعد النقلة النوعيّة التي حدثت له منتصف القرن الماضي تقريباً، النقلة التي طالت الأُسلوب والمضمون معاً، ممّا أعطى ذلك للمنبر الحسيني أبعاداً واسعة، ومديات مهمّة في العمل التبليغي والنشر الإسلامي، فلم يعُد الخطيب الحسيني مجرد ذلك الناعي المفجع، الذي لا همّ له إلّا تأجيج العواطف، واستدرار الدموع، عبر الصور والخيالات التي يرسمها ببيانه وحركاته وصوته الحزين عن واقعة الطف وأحداثها الأليمة، بل أصبح واعظاً ومرشداً، وعالماً موجهاً، يتناول مختلف النظريات العلمية، التي يمكن الاستعانة بها في مجال العقيدة والأخلاق وصلاح الناس.

ولذا اتسعت دائرة الخطاب الحسيني، وخرج من حدوده المكانية والفكرية الضيّقة، ليصل إلى المساجد والقاعات العامّة، والجامعات، والكليات، والمعاهد، والمراكز الثقافية، وغيرها من الأماكن العامّة، وفي مختلف مناطق العالم، وليشمل خطابه كلّ المجالات الفكرية والعلمية، فطال السياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والعلوم الحديثة، ومختلف التخصصات.

---

* كاتب وأستاذ في الحوزة العلمية، النجف الأشرف، من العراق.

وبسبب هذه السعة والشمولية والقفزة النوعيّة أصبح المنبر الحسيني من أبرز المصادر الفكرية والعلمية التي يعتمدها الناس؛ ليأخذوا منه معلوماتهم الدينية، ومختلف التوجيهات، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّه أصبح يشكّل المصدر الوحيد لدى الناس، أو الاوّل بحسب تصنيفهم.

ومن هنا؛ كان من الضروري أن تأخذ المؤسسات الفكرية والثقافية التي تُعنى بالمنبر الحسيني دورها في تطوير الخطاب الحسيني، ومعالجة الأخطاء والإشكاليات التي تقع في طريقه، ولا بدّ من وقفات جادة، ومبادرات حقيقية، لتقويم الخطاب الحسيني، والارتقاء به نحو الأفضل والأكمل.

ومن تلك الوقفات والمشاريع المهمّة (توحيد الخطاب الحسيني) الذي سنتناوله مفصّلاً في هذه الصفحات، حيث نحاول تسليط الأضواء على أهميّة هذا المشروع وفوائده، وكيفية حصوله ووسائله، وسنذكر - إن شاء الله - بعض المقترحات في هذا الصدد، ولعلّها ستكون منطلقاً لبناء هذا المشروع ونجاحه في المستقبل.

وسنقسّم البحث على قسمين:

سنتناول في القسم الأول أهمية توحيد الخطاب الحسيني والآثار المهمّة المترتبة عليه، بينما في القسم الثاني سنتناول كيفية تحقيق ذلك، وما هي أهمّ المقترحات التي يمكن أن تنفع في هذا المجال.

القسم الأول: أهميّة توحيد خطاب المنبر الحسيني

في البداية لا بدّ من توضيح معنى (توحيد الخطاب الحسيني)، وفي هذا المجال نطرح الاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: أن يكون المقصود (توحيد الشكل والمحتوى)، بحيث يكون الخطاب مكتوباً يحفظه الخطيب ويُلقيه على الجماهير، وهذا الاحتمال يواجه سلبيات عدّة، منها:

١ـ إنّ الخطاب سيكون بمنزلة القصيدة التي تُحفظ وتُلقى على الناس، دون أن يكون للخطيب أيّ دور في إنشائه، ومن المعلوم أنّ هذا لا يساعد على التفاعل، لا من جانب الخطيب ولا من جانب الجمهور، فإنّ الكلام ـ كما يُقال ـ إذا خرج من القلب دخل القلب.

٢ـ على هذا الأساس لا يبقى فرق ملحوظ بين الخطيب المفوّه وبين غيره، بل لا فرق بين الخطيب وغير الخطيب؛ إذ يمكن لكلّ إنسان قادر على الحفظ ولديه قدرة على الإلقاء أن يحفظ نصّ الخطبة المكتوب ويلقيه على الناس، وبذلك تضيع الكثير من المميّزات التي يتمتع بها بعض الخطباء.

٣ـ إنّ هذا الأُسلوب يختلف تأثيره من مجتمع إلى آخر، فإنّ اللغة التي كُتب بها الخطاب قد لا تؤثّر في مجتمع بنفس درجة التأثير في مجتمع آخر، فالمجتمعات كما نعلم تختلف فيما بينها بحسب المستوى الثقافي والبيئي وبحسب اللهجة الدارجة، فمن غير الممكن أن تتأثر جميعها بنفس الدرجة إذا كان الأُسلوب واحداً، وهذا الأُسلوب سيكون خلاف الحكمة التي تقتضي أن يكلّم الخطيب الناس على قدر عقولهم.

الاحتمال الثاني: أن يكون المقصود (توحيد المضمون فقط)، أي: إنّ المعنى واحد، ولكن الخطيب له مطلق الحرّية في التعبير والصياغة، كما لو كان المضمون حول الطلاق ومشاكله، فيمكن للخطيب أن يتحدّث عن مشاكله من وجهة نظر فقهية، ويمكن من وجهة نظر اجتماعية، وأُخرى نفسية، وهكذا، فالمهم أن يكون المضمون واحداً وإن تعددت الأساليب واختلفت التعابير.

وهذا الاحتمال جيد ونافع ولا يواجه مشكلة إلّا من جهة أنّه سيقيّد الخطيب بمواضيع معيّنة ومحددة، بحيث لا تكون لديه فسحة في اختيار المواضيع، ولكنّه مع ذلك يبقى احتمالاً جيداً ومفيداً كما سنلاحظ فيما بعد.

الاحتمال الثالث: أن يكون المقصود (توحيد الرؤى والأهداف والأفكار)، ومعنى ذلك أن يكون المسار الفكري والخطوط العامّة والتوجهات متفقاً عليها

بين الخطباء، ولا يعني ذلك الاتفاق في الجزئيات والأُمور الجانبية، وإنّما الاتفاق في القضايا الكلية، ولنذكر بعض الأمثلة:

١ـ الابتعاد عن طرح المسائل الخرافية والأحلام.

٢ـ الابتعاد عن القصص والحوادث الخيالية التي لا واقع لها.

٣ـ توثيق مصادر الموضوع ومراجعة المصادر المعتمدة.

٤ـ عدم الخروج عن ثوابت المذهب ومسلماته التي عليها السلف والخلف.

٥ـ عدم استخدام المنبر للدعاية الشخصية أو لتصفية الحسابات.

٦ـ الابتعاد عن طرح المواضيع التي تُثير الحساسية وتوجب تفريق الصف الإسلامي، أو المذهبي، وطرحها بأُسلوب دبلوماسي لا يُثير حفيظة الآخرين، ويكون مقبولاً قدر الإمكان.

٧ـ اعتماد الطرح الموضوعي.

٨ـ تكوين رؤية موحّدة لما ينبغي أن يُقال وما ينبغي أن لا يُقال.

إلى غيرها من الأُسس والمنطلقات التي ينبغي أن تحكم الخطاب الحسيني.

وهذا الاحتمال في فهم توحيد الخطاب الحسيني جيد ومفيد وضروري.

ومن خلال هذا الاستعراض يتضح أن الاحتمال الأول للتوحيد بعيد جداً، بينما الاحتمال الثاني والثالث هما المرجحان والمتبادران من توحيد الخطاب في المنبر الحسيني.

ويمكن أن نجمع بين الاحتمالين، فيكون المقصود توحيد الرؤى والمضامين، ليكون لدى الخطيب الحسيني مسارات فكرية معيّنة وخطوط عامّة تحكمه لا يتخطاها، وفي نفس الوقت لديه مضامين معينّة يشترك مع باقي الخطباء في طرحها وتناولها.

فالذي نراه مناسباً في فكرة توحيد الخطاب المنبري، هو أن يتم دمج الاحتمالين الثاني والثالث معاً تحت عنوان (توحيد الرؤى والمضمون)، وهذا ما ندعو إليه من خلال هذا البحث.

وإذا اتضح ذلك نقول: إنّ توحيد الرؤى والبنى الفكرية لدى خطباء المنبر الحسيني يُشكّل ضرورة، نصطلح عليها (ضرورة منبرية)؛ لإبعاد المنبر الحسيني عن التناقض والتباين في الآراء والأفكار التي تفرضها طبيعة الاختلاف في الرؤى والبنى الفكرية، فإنّ الذي يؤمن بحجية الرؤيا والأحلام من المؤكّد سيفرز منبره نتائج تتناقض مع مَن لا يؤمن بتلك الأُمور، كما أنّ الذي لا يُعير أهميّة للتثبت التاريخي، فيروي كلّ ما موجود في التراث سيقع هو نفسه في التناقض، بحيث يروي اليوم شيئاً ولكنّه يروي ما يعارضه غداً.

وكم يشهد منبرنا مثل هذه التناقضات والتهافتات التي جرّت علينا الويلات، فتحوّلت إلى مبررات بيد كلّ مَن يُريد أن ينتقد المنبر الحسيني أو المذهب، أو الإسلام، وما زالت بعض الفضائيات والمواقع تتصيد ما يصدر عن خطباء المنبر الحسيني من تهافتات، وتنسب ذلك إلى المذهب، حتى أُعدّت برامج خاصّة لذلك الغرض.

ومن هنا؛ يُعدّ من الضروري تصدّي أُولي الشأن والاختصاص لمعالجة هذه المشكلة أو محاولة طرح الحلول اللازمة، ولعلّ مجلّة الاصلاح الحسيني هي السبّاقة في طرح هذه القضية ومحاولة معالجتها، علّها تكون فاتحة خير للمختصّين وأُولي الشأن من مؤسسات دينية وشخصيات علمائية، أو خطابية لطرح الحلول والمقترحات.

إذاً، توحيد الرؤى والمضمون قضيّة أساسية لا يمكن إغفالها أو تركها، فلا بدّ من التفكير الجاد في إيجاد رؤية يشترك فيها كلّ الخطباء ويؤمنون بمبادئها وإن لم يتيسر جميعهم فالأغلب، فإنّ ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جُلّه.

وأهميّة توحيد خطاب المنبر الحسيني لا تقتصر على توحيد الرؤى والمضمون، بل تتعدّى ذلك إلى ما هو أوسع، ويمكن ذكر مجموعة من الفوائد:

الفائدة الأُولى: إنّ طرح المواضيع الموحّدة في مدّة زمنية معيّنة أو أوقات متقاربة، من شأنه أن يركّز الأفكار في أذهان المجتمع بشكل جيّد، ويؤثّر في نفوسهم، بحيث يتحرّك الأغلب على وفقها، ولنا في ذلك تجارب عدّة، منها:

١ـ الدعوة إلى المشاركة في الانتخابات في السنوات الماضية، حيث تصدّى الخطباء ـ تبعاً للمرجعية الدينية العليا - للحديث عن أهميّة الانتخابات وضرورة المشاركة فيها، فلقي ذلك إقبالاً واسعاً من قِبل الجماهير.

٢ـ دعوة الناس إلى التصدّي للهجمة الشرسة التي تعرّض لها العراق من قِبل الإرهابيين والتكفيريين، فإنّ المنبر الحسيني كان له الدور الفاعل في حثّ الناس وتوعيتهم، وكان للخطباء حضور مميّز في تلك المرحلة الحرجة، سواء في جبهات القتال؛ لحثّ المقاتلين على الصمود والمقاومة، أو في مختلف المحافظات والأقضية والنواحي؛ لحثّهم على الجهاد ودعم المجاهدين، أو على الفضائيات.

والذي نُريد قوله: إنّ الخطاب الموحّد قد لعب دوراً مهمّاً في حثّ الناس وتوعيتهم، فإنّ المتلقي يستمع إلى الحديث عن أهميّة الانتخابات أو ضرورة دفع الإرهابيين يومياً تقريباً وفي مختلف الأماكن، ومن أفواه متعددة، وبأساليب مختلفة.

فلو تحدّث الخطباء اليوم عن ظواهر معيّنة كظاهرة الطلاق ـ مثلاً ـ المنتشرة بكثرة في السنوات الأخيرة، أو ظاهرة تناول المخدرات التي شاعت بكثرة في أوساط الشباب، أو ظاهرة تردي الواقع التعليمي في العراق، وغيرها من الظواهر، بحيث يطرح الخطباء هذه المواضيع في موسم واحد أو في أزمنة متقاربة، فالذي في بغداد يسمع الحديث عنها وعن مشاكلها وحلولها، والذي في البصرة يسمع الأحاديث نفسها أو قريباً منها، وفي ذي قار أيضاً، وهكذا في بقيّة المدن، فمن المؤكّد أنّ كثيراً من الفضائيات ستقوم بنقل جانبٍ من ذلك؛ لأنّه كما يُقال (حديث الساعة) حسب الافتراض، ولا أظنّ أنّ أحداً يشكّ في فائدة ذلك ونفعه للناس، حيث يتم توجيه أنظار الجمهور إلى قضايا معينة مهمّة يحتاج الناس إلى معرفة حلولها وعلاجاتها؛ لأنّها تُهدد وحدة المجتمع وتماسكه تماماً، كانتشار الأمراض الخطيرة المميتة؛ حيث تتناول وسائل الإعلام الحديث عنها وعن خطورتها بشكل مركز في وقت واحد، ممّا يُسهم بشكل كبير في التقليل من الإصابة بها أو إمكانية علاجها، ولعلّنا لم ننسَ كيف تعامل المختصّون والإعلاميون مع مرض (انفلاونزا الطيور)، الذي ظهر في الآونة

الأخيرة، وكيف تمّ التغلّب عليه أو التقليل من خطورته، كلّ ذلك من خلال التركيز المكثّف على أعراضه وكيفية الوقاية منه.

الفائدة الثانية: عندما يكون الحديث عن موضوع محدد، فإنّ ذلك سيُثير الرأي العام ويحرّك المعنيين والمختصّين والإعلاميين للحديث عنه، خصوصاً إذا كان الموضوع هامّاً للجميع، وحينئذٍ يمكن أن يُفرز المجموع حلولاً للمشكلة أكثر تأثيراً، فإنّ هذا الخطيب قد يطرح حلّاً، وذلك يطرح حلّاً آخر، وهذا الباحث يطرح رؤية معينة، وذلك الإعلامي يقدّم شيئاً نافعاً، وقد يُشارك الجمهور من خلال عرض مشكلاتهم في صناعة حلولٍ أكثر واقعية.

هذا بخلاف ما لو تناول هذا الموضوع خطيب واحد أو أكثر في أزمنة متباعدة، فإنّ تأثيره في تحريك الرأي العام سيكون محدوداً جداً.

وهذه الفائدة ليست عامّة في كلّ المواضيع التي يطرحها الخطباء، وإنّما تخصّ المواضيع ذات الطابع الاجتماعي من قبيل (انتشار الطلاق، وانتشار المخدرات، وانتشار قطيعة الرحم، ومشاكل الأنترنيت) ونحوها من المواضيع الاجتماعية التي فيها فسحة لتدخل غير المختصّين من العلماء والفقهاء، فإنّ مثل الأحكام الشرعية وقضايا العقائد لا مجال لغير المختصّ من التدخل فيها.

وهذه الطريقة سوف توفّر للخطيب مادة واسعة وشاملة للموضوع فيما لو أراد طرحه مجدداً، فقد تبقى الحاجة قائمة لطرح الموضوع مراراً وتكراراً.

الفائدة الثالثة: لعلّ من الفوائد تولّد الحاجة لدى الخطباء في مشورة بعضهم للبعض الآخر في إعداد الموضوع وتوفير مادته؛ لأنّ طبيعة الموضوع الواحد تفترض نوعاً من التشاور وتبادل المعلومات، وهي قضيّة مهمّة نحتاجها في تطوير المنبر الحسيني وإبعاده عن التسطيح الذي يكون سببه غالباً عدم الإحاطة الكافية بالموضوع، فإذا استطاع الخطيب أن يُحيط بموضوعه جيداً من خلال مشاوراته مع الخطباء الآخرين، استطاع بكلّ تأكيد أن يطرح موضوعاً جيداً وأكثر نفعاً.

القسم الثاني: كيفية توحيد خطاب المنبر الحسيني

من المعلوم أنّ نجاح المنبر وقوة تأثيره يتأثر بعوامل عدّة، منها: نوعية الموضوع والفكرة التي تُطرح، فإنّ الموضوع الجيّد والحيّ الذي يعالج مشكلة اجتماعية، أو يطرح فكرة يحتاجها الناس يتفاعل معه الجمهور ويتأثرون به، وهذا بخلاف الموضوع الذي لا يقع تحت عناية الناس واهتمامهم ولا يلبي حاجاتهم الفكرية والنفسية والاجتماعية، فإنّه لا يلقى اهتماماً، ولا يجلب انتباهاً.

إذاً، من عوامل نجاح المنبر أهميّة الموضوع المطروح ومقدار حاجة الناس إليه.

ومن تلك العوامل أيضاً لمسات الخطيب وموهبته الخاصّة، التي تضيف إلى الموضوع رونقاً خاصّاً تجعله أكثر تأثيراً في نفوس الجمهور، فشخصية الخطيب وقدرته البيانية ونبرات صوته وحركاته وطريقة أدائه كلّها عوامل مهمّة في عرض الموضوع وتصويره.

وكثيراً ما نشاهد خطباء يمتلكون معلومات جيّدة وقيّمة، ولكنّهم يفتقرون إلى الموهبة والقدرة البيانية وطريقة عرض الموضوع؛ فلذا لا نجد لهم جمهوراً وحضوراً يتناسب مع حجمهم العلمي.

ومن أجل ذلك؛ يلزم عند طرح أيّة محاولة لتوحيد الخطاب الحسيني مراعاة هذين العاملين (أهميّة الموضوع)، و(مواهب الخطيب الخاصّة)، للمحافظة على قوّة المنبر وشدّة تأثيره في النفوس.

ومن هنا؛ فإنّ المحاولة التي سنطرحها قد لوحظ فيها هذان العاملان.

وتتلخص المحاولة بأن تتبنى جهة مختصّة بشؤون المنبر الحسيني انتخاب مواضيع مهمّة معاصرة، وإعداد ملفات لكلّ موضوع، ثمّ توضع هذه الملفات في متناول أيدي الخطباء في كلّ موسم، ونظراً لأهميّة المواضيع المنتخبة ولقيمة المادة المطروحة سنضمن تفاعل نسبة كبيرة من الخطباء معها، ولعلّ نسبة التفاعل ستزداد

في المواسم اللاحقة فيما لو وجدوا ضالتهم في هذه المواضيع والملفات، كما لعلّهم سيشاركون في تطوير هذا المشروع من خلال ملاحظاتهم، والعناوين التي يمكن أن يساهموا في طرحها، أو المعلومات التي يمكن أن يضيفوها.

ولتوضيحها أكثر نقول: إنّ الخطيب الناجح يفكّر دائماً في انتخاب المواضيع المهمّة التي هي موضع اهتمام الجمهور، ونجاحه يعتمد بشكل كبير على نوع المعلومات والأفكار التي يطرحها، وأحياناً يهتدي إلى انتخاب ما ينبغي أن يُطرح، وأحياناً لا يهتدي إلى ذلك؛ لعدم الالتفات ـ مثلاً ـ فهو بحاجة لمساعدة مَن يلفت نظره وعنايته إلى الفكرة أو الموضوع، كما نلمس ذلك أحياناً عندما يسأل سائل عن قضية، فينتبه الخطيب إلى أهميّة الموضوع المسؤول عنه، فيقوم بإعداد الموضوع وطرحه على الجمهور، ولربما يكون الخطيب ملتفتاً إلى أهميّة الموضوع، ولكنّه لا يتوفر على المادة الكافية التي تساعده على طرحه، أو يحتاج جمعها وإعدادها إلى وقت طويل لا يتوفر لدى الخطيب، فهو بحاجة إلى مَن يُعينه في توفير المادة اللازمة في وقت قياسي.

إذاً، فالخطيب بحاجة إلى مَن يُلفت انتباهه إلى المواضيع المهمّة لا سيّما المعاصرة، وبحاجة أيضاً إلى مَن يوفّر له المعلومات التي يحتاجها لغرض الاحاطة بالموضوع.

وحيث إنّ العناوين والموضوعات المهمّة كثيرة ومتجددة؛ لذا فالمناسب أن تُنتخب مجموعة موضوعات في كلّ موسم وتُعدّ بشكل مستوفٍ، ثمّ تُطرح قبل موسم التبليغ بمدّة زمنية تكفي الخطباء لتهيئتها وحفظها لإلقائها.

وهذه الطريقة يمكن أن تُسهم ولو بشكل محدود في توحيد المواضيع المطروحة، بحيث نضمن أنّ عدداً من الخطباء قد تناولوا هذه الموضوعات في محاضراتهم في موسم واحد أو مواسم متقاربة، ويمكن أن يتطوّر هذا المشروع بعد التجربة.

ولعلّك تقول: أيّ فرق بين فكرة إعداد الملفات، وفكرة المجالس المكتوبة، فإنّها أيضاً توفّر للخطيب مواضيع جاهزة مكتوبة، لا يلزمه - إن أراد إلقاءها - إلّا حفظها، وهي فكرة شائعة منذُ زمن، ولم تُحقق شيئاً يُذكر على مستوى توحيد الخطاب الحسيني.

ولكن نقول: هناك فوارق جوهرية بين فكرة إعداد الملفات، وفكرة إعداد المجالس المكتوبة، وهي كالآتي:

١ـ فكرة إعداد المجالس لا تستهدف توحيد الخطاب الحسيني؛ لننتظر منها هذه النتيجة، فهي فكرة عشوائية تقوم على أساس طرح المجالس المكتوبة التي تمّ إلقاؤها أو التي يُراد إلقاؤها، بينما فكرة إعداد الملفات تطمح لتوحيد الخطاب الحسيني اعتماداً على قيمة المطروح وأهميّته.

٢ـ المجالس المكتوبة لا تعطي للخطيب حرّية في اختيار مداخل البحث؛ لأنّها تبتدأ كما هو المتعارف باختيار قصيدة، أو آية قرآنية، أو حديث، أو حكمة، أو غيرها، ثمّ يدور الحديث حول ذلك، وطبيعة المجالس المكتوبة أن لا تكون مستوعبة لتمام أطراف الموضوع، وإنّما تتناول أطرافاً منه أو مقتطفات، بينما فكرة الملفات تحاول استيعاب الموضوع بشكل متكامل أو على الأقل مهماته، ممّا يُعطي للخطيب حرية كافية في اختيار مدخل البحث، كما سيتضح ذلك جيداً في التطبيقات.

٣ـ فكرة المجالس المكتوبة تقتل بعض مواهب الخطيب ولمساته؛ إذ الكثير من مواهب الخطيب تظهر في اختياره للموضوع وطريقة عرضه، فإذا ما اعتمد على المجلس المكتوب فإنّه سيتقيّد في كثير من الأحيان بطريقة العرض التي اعتمدها كاتب المجلس، وهي قد تختلف عن طريقة الخطيب.

٤ـ المجلس المكتوب يعتمد على فهم الكاتب للموضوع، ورؤيته للآية، وفهمه للنصوص، والخطيب الذي يعتمد على ذلك إنّما يكون ناقلاً أو مقلّداً، بينما في فكرة الملفات لا توجد إملاءات كما هو الحال في المجالس المكتوبة، فالملف يعرض الموضوع بتفاصيله كافة، وتُترك مسألة القناعات والاستدلالات وفهم النصوص وتقويمها إلى الخطيب نفسه.

والحاصل: هناك فوارق واضحة بين المجالس المكتوبة والملفات المعدّة لصناعة الخطاب.

ولكي تتضح الفكرة أكثر نذكر فيما يلي التطبيق الآتي:

ظاهرة كثرة الطلاق

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الملف الذي يُراد إعداده مختصّ بدراسة ومعالجة هذه الظاهرة، ولا يتناول باقي موضوعات الطلاق، من قبيل شروط وقوعه، ومسائل العدّة ونحو ذلك.

ولغرض إعداد هذا الملف نتبع الخطوات الآتية:

الخطوة الأُولى: استخراج الآيات التي تتحدّث عن هذا الموضوع، ودراستها بشكل جيّد، ثمّ تُذكر كلمات المفسّرين، وموارد الاتّفاق والاختلاف، مع ما يمكن أن يُضاف إليها من تصورات ورؤى.

الخطوة الثانية: تُستخرج الأحاديث والروايات الخاصّة بهذا الموضوع، ثمّ تُدرس هذه الروايات دراسة وافية، وتُطرح النتائج والخلاصات، ويُترك الأمر في نهاية المطاف إلى تقييم الخطيب وتقديره.

الخطوة الثالثة: نسب وإحصائيات.

دعاوى الطلاق عام ٢٠٠٤م (٢٨٦٨٩)، وفي عام ٢٠٠٥م (٣٣٣٤٨)، وفي عام ٢٠٠٦م (٣٦٦٢٧)، وفي عام ٢٠١٢م (كل ٥٠ حالة طلاق مقابل ١٠٠ حالة زواج)، وفي عام ٢٠١٣م (أكثر من ١٦٠ ألف حالة طلاق)، وفي عام ٢٠١٦م بلغت حالات الزواج ٨٣٤١ بينما بلغت حالات الطلاق ٥٢٠٩، فنسبة الطلاق اثنان وستون بالمائة تقريباً.

وهناك نسب أكثر تفصيلاً، يمكن أن تُذكر، كالنسب بحسب المحافظات، وكذا النسب بحسب الأعمار، وغيرها.

تُستخرج هذه النسب من مواقعها الرسمية، كالتقارير الحكومية، ومقالات القضاة والقانونيين، وأبحاث المختصّين، وتوضع في الملف لتكون بين يديّ الخطيب.

الخطوة الرابعة: أسباب الطلاق ومبرراته.

هناك دراسات كثيرة حول أسباب الطلاق، منها: قانوني واجتماعي، ومنها: ديني، وغير ذلك، ويمكن جمع ذلك من خلال البحوث والدراسات التي تنشرها المواقع المختصّة، ولنذكر منها:

الأول: العامل الاقتصادي.

الثاني: مواقع التواصل الاجتماعي.

الثالث: التأثر بالمسلسلات المدبلجة.

الرابع: الزواج غير الواعي، والاختيار الخاطئ.

الخامس: التدخل السلبي من قبل الأُسرة.

السادس: الدور السلبي للمحامين الذين لا يفكّرون إلّا في كسب المال.

وهناك غيرها من الأسباب، وكلّ واحد منها يحتاج لشرح وافٍ وتفاصيل كثيرة.

والكثير من الدراسات الميدانية تقوم بنقل قصص وحكايات مختلفة حول هذا الموضوع، يمكن إدراجها في هذا الملف والإفادة منها.

الخطوة الخامسة: العلاجات والحلول.

في هذا الحقل تُدرج الحلول والعلاجات المناسبة.

هذه حقول الملف التي تقبل الزيادة والنقيصة، كما تقبل مضاعفة المعلومات التي تُذكر في كلّ حقل، توضع بين يدي الخطيب؛ ليأخذ تصوراً كاملاً عن الموضوع، كما له كامل الحرية في التقييم واختيار الآية التي يفتتح بها الحديث أو الرواية، كما له الاختيار في ترتيب الموضوع وتسلسله، أو الإضافة عليه.

الملف المذكور ما هو إلّا فكرة مصغّرة عن المقترح الذي ندعو إليه في هذا البحث، وهو مقترح بحاجة إلى ملاحظات الإخوة المختصّين.

وفي تقديرنا هو يحقق الأُمور الآتية:

١ـ نضمن تناول جمع من الخطباء موضوع الملف.

٢ـ المحافظة على مواهب الخطيب وخصوصياته من خلال كيفية الإلقاء، وكيفية تناوله، من اختيار الآية التي يراها مناسبة في نظره، مع اختياره للترتيب المناسب.

٣ـ فسح المجال للخطيب للتحليل والقراءة، وعدم فرض القناعات عليه، أو تقييده بأفكار معيّنة.

هذه هي الفكرة التي أحببت طرحها في هذه الصفحات، والتي أعتقد أنّها توفر الحدّ الأدنى من توحيد خطاب المنبر الحسيني، وبكلّ تأكيد هي تحتاج إلى ملاحظات المختصّين.

نعم، تبقى لدينا الفكرة الأهم، وهي فكرة توحيد الرؤى والأفكار والمباني، فإنّها تحتاج لمقترحات وأُطروحات، تذلل الصعاب، وتفتح المجال لتجسيد هذا المشروع الكبير، ويمكن في هذا المجال أن نقدّم هذه الرؤية:

فيما يخصّ توحيد المضمون قدّمنا مشروع الملفات الذي يمكن أن يكون منطلقاً لتوحيد المضمون الخطابي، وأمّا فيما يخصّ توحيد الرؤى والمباني، فيمكن أن ننطلق من المقترحات الآتية:

الأول: يمكن أن ننطلق من مشروع إقامة (منتدى الخطباء) حيث توجّه الدعوة فيه لمختلف الخطباء، لا سيّما البارزين منهم، ليتم طرح الأفكار والرؤى التي يُراد توحيدها، والاستماع لوجهات النظر المختلفة، على أن يستضيف المنتدى شخصيات علمية مهمّة لهم كلمة مسموعة في أوساط الخطباء، ويمكن أن يُعقد المنتدى بشكل دوري، في كلّ شهر مرّة، أو في المناسبات، أو قبل موسم التبليغ، أي: قبل شهري رمضان ومحرّم بمدّة زمنية يتسنى من خلالها العمل بتوصيات المنتدى التي سيخرج بها.

ولهذا المشروع أمثلة مشابهة قد حققت نجاحات لافتة، منها المنتديات الشعرية التي كانت تُعقد سابقاً في الكثير من المحافظات العراقية، كالنجف الأشرف، وبغداد، وغيرهما، ولعلّ بعضها لا زال قائماً، وفي هذه المنتديات يتمّ تناول كلّ ما

يخصّ الشعر من عروض ونقد وقصائد، ممّا يُسهم في تطوير المهارات الشعرية عند أغلب روّادها، وهكذا المجالس العلمية التي كانت تحتضنها البيوتات العلمية في حوزة النجف الأشرف، والتي كان يحضرها كبار الفقهاء والأساتذة، وتُطرح فيها الأسئلة العلمية، وتتحوّل الجلسة إلى ساحة للاحتدام الفكري، والنقاش العميق، وقد سمعت من بعض الأعلام أنّه قال: كانت تلك المجالس مهمّة، وقد انتفعنا بها كثيراً، وصقلت مواهبنا.

فما المانع أن يحذوا الخطباء حذو الشعراء والأُدباء، أو حذو الفقهاء والعلماء، في عقد مثل هذه المنتديات التي ستُسهم بكلّ تأكيد في تقارب الرؤى والأفكار لدى بعض من الخطباء على أقل تقدير، وإذا استطعنا أن نقارب بين أفكار ورؤى بعض الخطباء لا سيّما البارزين سيكون ذلك إنجازاً كبيراً، يمهّد لإنجازات أُخرى.

ويبقى أمامنا الجهة التي ستُنظّم هذا المنتدى، بعد الالتفات إلى أنّها لا بدّ أن تتمتع بموقع ومركزية يضمن لها نجاح مثل هذا المشروع، واستجابة الخطباء لها، ويمكن أن تتولى العتبة الحسينيّة هذا المشروع، أو إحدى مؤسّساتها، مثل مؤسسة (وارث الأنبياء)، فإنّ هذه الجهة مناسبة جداً لتولي هذه المهمّة.

الثاني: أن تتولى المرجعيات الدينية الفاعلة لا سيّما المرجعية العليا تقديم توصيات خاصّة إلى الخطباء، وتوجيهات هامّة تقع في طريق هذا المشروع، فإنّ للمرجعية صوتاً مسموعاً وأُذناً صاغية في الوسط الاجتماعي، وعند شريحة واسعة من الخطباء، ولا شكّ في أنّ هذه التوجيهات ستُسهم بنسبة معيّنة في توحيد مقدارٍ من الرؤى والأفكار.

الثالث: إنشاء معهد خطابي متخصّص يقوم بإعداد الخطباء، وهذا المعهد يمكن أن يأخذ على عاتقه رسم المسارات السليمة والخطوط العريضة، التي يجب على الخطيب المحافظة عليها، فكما يتعلّم في هذا المعهد فنون الإلقاء، وكيفية إعداد

المحاضرة والأطوار المتنوعة، كذلك يتعلّم ما يضمن له وحدة المنبر في مساره ورؤاه، فيتربى الخطيب على ذلك من أوائل مسيرته الخطابية.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذا المقترح الثالث يحتاج إلى وقت طويل لتظهر نتائجه، وتبدو ثماره؛ لأنّه يعتمد في تحقيق الهدف على تربية جيل جديد من الخطباء يتعلّم من نعومة أظفاره ما يحتاجه في توحيد الخطاب في المنبر الحسيني، بينما في المقترحين الأوليين لا يحتاج الأمر إلى وقت طويل جداً، بل من الممكن أن تظهر نتائجه في وقت قصير نسبياً.

وسيبقى مشروع (توحيد خطاب المنبر الحسيني) هدفاً نبيلاً، وغايةً سامية، تحتاج لتضافر الجهود، وتسخير كلّ الإمكانيات الممكنة لتحقيقه، خدمة لمجتمعنا الإسلامي، ورعاية لأهدافه العليا.

العوامل المؤثّرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد علي السلمان*

مقدّمة

إنّ كل حركة رسالية ـ وحيانية كانت أو غير وحيانية ـ لا بدّ أن تمتلك مجموعة من الوسائل الإعلامية التي تمكّنها من إيصال مضامينها التي تؤمن بها إلى الناس، كما أنّها تسعى دائماً إلى تهذيب هذه الوسائل، وجعلها تدور حول هدفها أو أهدافها التي كانت سبباً في وجودها. وبما أنّ الدين الإسلامي ليس بمعزل عن هذه السنّة الاجتماعية، فقد امتلك بدوره وسائل إعلامية عدّة، كان من أهمّها المنبر التبليغي الذي منحه القرآن الكريم لأعظم شخصية إسلامية، ألا وهي شخصية الرسول الكريم محمدﷺ، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿... وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ثمّ توالت ـ بعد ذلك ـ المراحل التي مرّت بها هذه الوسيلة الإعلامية، وصولاً إلى سنة (٦١هـ) التي تحرّك فيها سيّد الشهداءعليه السلام، صادحاً بدعوة الحقّ، وداعياً إلى إحياء سنّة جدّه محمدﷺ، بعد محاولات طمسها وتشويهها من قبل الحكّام الجائرين

---

* باحث إسلامي، وأُستاذ في جامعة المصطفىﷺ العالمية/ من العراق.

(١) المائدة: آية٦٧.

(٢) النحل: آية٤٤.

من بني أُميّة، فإنّه بعد استشهاده عليه السلام في واقعة الطفّ المروّعة أصبح للمنبر التبليغي ـ الذي أُطلق عليه أيضاً المنبر الحسيني ـ حضور واسع ودور كبير في إيصال المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ومظلومية أهل البيت عليهم السلام. ولأهمّية هذه الوسيلة الإعلامية في حياة الناس، وصيرورتها جزءاً لا يتجزّأ من الواقع الإسلامي الشيعي؛ فقد انبرى مجموعة من المحقّقين إلى الحديث عنها، كلٌّ بحسب زاويته الخاصّة، وبحسب الفراغ الذي يرى ضرورة ملئه من خلال ما يقوم به من دراسة.

هذا، ونحن في المقام نودّ الخوض في حديث مهمّ نسعى من خلاله إلى حفظ كيان هذه الوسيلة الإعلامية، وإلى جعلها ذات فعّالية كبيرة في إرساء التعاليم الإسلامية في المجتمع الإنساني؛ وذلك من خلال تشخيص جملة من العوامل التي تؤدّي إلى تضييع أو تشويه الهدف المفترض ترتُّبه على هذه الوسيلة الإعلامية، مع إبداء بعض المعالجات في المقام.

ولكي نتمكّن من إيصال فكرة هذا المقال إلى القارئ الكريم بشكل جيّد، سوف نقسّم الحديث في المقام على تمهيد نقف فيه على بيان المراد من المنبر، والمراحل التاريخية التي مرّ بها، والأركان الرئيسة التي يتألّف منها، ثمّ نجعله في ثلاثة محاور رئيسة نقف فيها على دور كل من: المبلِّغ، والمادة التبليغية، والجمهور، والأوضاع التي تحيط بالمنبر، في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي لهذه الوسيلة الإعلامية المهمّة.

التمهيد

النقطة الأُولى: بيان المراد من المنبر لغةً واصطلاحاً

أمّا لغةً فقد ذكر الفراهيدي: «**النبر بالكلام: الهمز، وفي الحديث: أنّ رجلاً قال: يا**

نبي الله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا تنبر باسمي، أي: لا تهمز. وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره»[1]، وقال الجوهري: «**نبرت الشيء أَنبِره نبراً: رفعته، ومنه سُمِّي المنبر. ونبرةُ المغنّي: رفعُ صوته عن خفض...**»[2]، إلى غير ذلك من كلمات اللغويين التي يتّضح منها أنّ مفردة المنبر لها دلالة على الارتفاع والعلو عن الأرض.

أمّا المعنى الاصطلاحي للمنبر فلم يخرج عن المعنى اللغوي أعلاه، قال الشيخ الصدوق قدس سره: «**فإذا فرغت من الصلاة فاجتهد في الدعاء، ثمّ ارقَ المنبر، فاخطب بالناس إن كنت تؤمّ الناس**»[3]، وقال الشيخ الطوسي قدس سره: «**وينبغي أن يقوم الإمام في حال الخطبة على شبه المنبر معمول من طين**»[4]. وللتلازم المشاهَد بين المنبر والخطبة الدينية نجد أنّ بعضهم ساوى بين المنبر والخطابة الدينية في المعنى الاصطلاحي[5].

هذا، ونجد أنّ مفردة (المنبر) بعد التطوّر الإعلامي الذي حدث في العالم العربي، أصبحت تُطلَق على كل وسيلة إعلامية تهدف إلى إيصال رسالة معيّنة إلى الجمهور، فيقال ـ مثلاً ـ: إنّ هذه القناة الفضائية، أو الصحيفة الفلانية منبر حرّ لإيصال صوت الحقيقة إلى الناس.

النقطة الثانية: مكانة المنبر في تحقيق الهدف الرسالي للدعوة الإسلامية والمراحل التاريخية التي مرّ بها

إنّ الدعوة الإسلامية تمتلك رسالة سماوية يسعى ممثّلوها إلى إيصالها إلى عموم

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٨، ص٢٦٩.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٨٢١.

(٣) ابن بابويه القمّي، علي، فقه الرضا عليه السلام: ص١٣٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج١، ص١٧٠.

(٥) أُنظر: مطهّري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص١٩٩.

البشر، وفي كل الأزمنة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[1]، وهذه الرسالة الإسلامية، هي عبارة عن القرآن الكريم وما يشتمل عليه من مضامين دينية ودنيوية، يسعى من خلالها إلى هداية الإنسان ـ ببعديه الفردي والاجتماعي ـ وإخراجه من الظلمات إلى النور. كما أنّ مهمّة تبليغ هذه الرسالة أُوكلت ـ بالدرجة الأساسية ـ إلى الرسول الكريم محمدﷺ؛ إذ يقول عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ومن هنا؛ يتّضح لنا أنّ المنبر الديني (الإسلامي) كانت بدايته على يد الرسول الكريم محمدﷺ، فقد ورد في الأثر: «**كَانَ رَسُولُ اللهﷺ يَخْطُبُ عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ...: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي غُلَاماً نَجَّاراً أَفَلَا آمُرُهُ يَتَّخِذْ لَكَ مِنْبَراً تَخْطُبُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَاتَّخَذَ لَهُ مِنْبَراً، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ...**»[3].

إنّ هذه الرواية ـ في الحقيقة ـ قد تطرّقت إلى بدايات صناعة المنبر (مكان إلقاء الخطبة والمواعظ)، إلّا أنّ أصل بداية مشروع المنبر الرسالي للرسولﷺ ـ الذي هو مقصودنا في المقام ـ كانت من أوّل لحظة لنزول القرآن.

ثمّ إنّه بعد واقعة الطفّ المروّعة سنة (٦١هـ)، وبعد ملاحظة ارتباطها بصميم المشروع التغييري الإلهي[4]، نجد أنّ المنبر الرسالي قد أخذ دوراً كبيراً في هذه النهضة؛ وذلك من خلال إقامة مجالس ذكر مصائب أهل البيتعليهم السلام، وما جرى عليهم من

(١) الأنعام: آية١٩.
(٢) النحل: آية٤٤.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص٤٧. وقد اختلفت الروايات في تحديد اسم الشخصية التي قامت بصناعة منبر الرسولﷺ. أُنظر في هذا الصدد: السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ج٢، ص٣٩١.
(٤) أُنظر: الهاشمي، السيّد كامل، أصول المحاضرات: ص١٣.

محن ونكبات، ونتيجة لذلك قد أُطلقت على هذه الوسيلة الإعلامية تسمية المنبر الحسيني؛ وذلك للتماهي الحاصل بين الحركة الرسالية التي قادها رسول الإنسانية محمدﷺ وبين الحركة الثورية والتغييرية التي قادها أبو عبد الله الإمام الحسينعليه السلام.

وكانت المنابر الحسينية في بدايتها عبارة عن مآتم للبكاء على الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وصحبه، وقد شرعت في نفس يوم العاشر من المحرّم سنة (٦١هـ)، واستمرّت بعد ذلك بالتزامن مع مسيرة سبايا واقعة الطفّ من كربلاء إلى الكوفة، ومن بعدها إلى الشام، وانتهاءً بالمدينة المنوّرة، وقد أطلق عليها بعضٌ: (المآتم العفوية)[١]، في مقابل (المآتم الهادفة) إلى الحفاظ على نتاجات واقعة الطفّ، وعدم اندثارها بتقادم الأزمنة، فقد أصبحت المآتم الحسينية ذات شكل جديد، وتتم إقامتها بعد تهيئة وإعداد سابقين، وهذه المآتم هي الأساس لما نشاهده اليوم من ظاهرة المنبر الحسيني[٢].

نعم، اختلفت الآراء في تحديد بداية تشكُّل مثل هذا النوع من المآتم بين أن يكون المؤسّس لها التوّابين، أو البويهيين، أو خصوص الإمام زين العابدينعليه السلام، أو عموم أئمّة أهل البيتعليهم السلام[٣]. وبغضّ النظر عن هذا الاختلاف فإنّا نجد أنّ المنبر الحسيني الحالي، الذي تطوّرت معالمه بشكل كبير عن بداية تأسيسه[٤]، أصبح يُشكّل في هذه الأزمنة «**وسيلة من وسائل الإعلام الإسلامي الفاعلة في الدعوة والإرشاد والتبليغ، والمؤثّرة في أبناء المجتمع عموماً، والمجتمع الإسلامي خصوصاً**»[٥].

(١) أُنظر: الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره ومراحل تطوّره: ص٤٧ـ ٥٧.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧ـ ١٠٤.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص١٥٧.
(٥) المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص١٩١.

النقطة الثالثة: ركائز المنبر الحسيني

قبل الدخول في الأبحاث الأساسية لهذا المقال، ينبغي لنا تشخيص محالّ السلبيات المبحوث عنها، وهي عبارة عن ركائز المنبر الحسيني، فقد ذُكرت في المقام مجموعة من الركائز، هي:

١ـ الإعلامي أو المُلقي.

٢ـ المخاطَب.

٣ـ الرسالة.

٤ـ وسيلة الارتباط[١].

وقد أضاف بعضٌ ركيزتين أُخريين هما:

١ـ المحيط.

٢ـ وردّ فعل المتلقّي[٢].

ويمكن تقليص هذه الركائز ـ فيما يخصّ بحثنا حول المنبر ـ في ثلاثة، هي: (المُلقي، الرسالة، المحيط)؛ وذلك لأنّ المخاطَب (المتلقّي) وردّ فعله هما في الحقيقة يُشكّلان المحيط الذي يواجهه المنبري أثناء تأدية مهمّته التبليغية، أمّا وسيلة الارتباط فليست ركيزة من ركائز المنبر، بل هي من ركائز الإعلام الحسيني بشكل عام.

ومع ملاحظة هذه الركائز الثلاثة فإنّ بحثنا في هذا المقال سيكون في ثلاثة محاور رئيسة.

(١) أُنظر: المقدّس الغريفي، السيّد محمود، فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص١٧٣. حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد٧٢، ص٧٢.

(٢) أُنظر: حسين زاده، أحمد، منبر، نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثّر در تبليغ جهره به جهره، (المنبر، دور العلاقات والعوامل الاجتماعية في التبليغ المشافهي)، مجلّة معرفة: العدد٧٢، ص٧٢.

المحور الأوّل: العوامل المتعلّقة بالمُلقي والمؤدّية إلى تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

إنّ المُلقي الذي يرتقي المنبر الحسيني، أو خادم المنبر الحسيني على حدّ تعبير بعضٍ ـ سواء كان خطيباً أو رادوداً أو شاعراً ـ يجب أن يعي قبل كل شيء أنّ مهمّته تتجلّى في بُعدين أساسيين، هما:

١ـ ديني تعبّدي، وذلك من خلال تقرّبه بهذه الخدمة الجليلة إلى الله تعالى؛ لينال السعادة في الدارين.

٢ـ تثقيفي تربوي، وذلك من خلال المهمّة الرسالية التي أُوكلت إليه، والمتمثلة في هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

وبالتالي يتحتم عليه دوماً أن يسعى إلى المحافظة على البقاء في دائرة هذين البُعدين، اللذين يترتّب أحدهما على الآخر، وأن يعي أنّ طريقه هذا ليس سهلاً، فهناك جملة من العوامل والمؤثّرات السلبية التي تؤدي إلى حرف خادم المنبر عن المهمّة التي هو بصدد إنجازها فيما لو تحققت، وسيتم التطرُّق إلى هذه العوامل والمؤثّرات في النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: عدم اهتمام المُلقي بالغرض من الفن الذي يمارسه على المنبر الحسيني

ما يُلقى على المنبر الحسيني ينحصر في فنّين لا ثالث لهما، وهما: الخطابة والشعر؛ وذلك لأنّ الذي يرتقي المنبر ـ بحسب الغالب ـ هو الخطيب الذي ينشد الشعر والمراثي الحسينية في نهاية خطبته، أو في بدايتها في بعض الأحيان، أو هو الرادود الذي يتمحّض دوره في إنشاد الشعر بطرق خاصّة، وكل واحد من هذين الفنّين له غرض أساس.

إنّ الغرض الأساسي بالنسبة إلى الخطابة هو إيجاد حالة الإقناع لدى

السامعين[1]، وزاد بعضهم ضرورة استمالة الخطيب لنفوس الحضور إلى العمل بما يقول، وترك ما ينهى عنه[2]، أمّا الشعر الذي هو «**كلام مخيّل مؤلّف من أقوال موزونة متساوية مقفّاة**»[3] فهو بدوره يمتلك غرضاً أساسياً يتمثّل في التأثير في النفوس لإثارة عواطفها[4]. وبما أنّ لكل واحد من هذين الغرضين المذكورين قضاياه وموادّه الخاصة به[5]؛ ينبغي للمنبري أن يكون عارفاً بتلك القضايا، وبكيفية الاستفادة منها، فعدم معرفته ـ وأخصّ هنا الخطيب المنبري ـ بذلك، أو عدم اهتمامه به، يؤدّي إلى نفور الناس عنه، وعدم استفادتهم منه، فالخطيب الذي يصبّ كل اهتمامه على البراهين المعتمدة على اليقينيات والقياسات المنطقية لإثبات مطلوبه، يُبعد مستمعيه عن الهدف الأسمى من منبره، فإنّ «**الجمهور... ليس له الصبر على التأمّل والتفكير ومحاكمة الأدلّة والبراهين**»[6]، ومع نفرة الجمهور وعدم قناعته بما يقوله الخطيب، سوف يبتعد عن الهدف الرسالي الذي من المفترض ترتّبه على منبره الحسيني؛ وذلك لتأثّره بالتيّارات والتوجّهات المقابلة بسبب ما تحمله من مغريات وعبارات برّاقة، وكذلك لعدم تمييزه الدقيق بين الأفكار الصحيحة والسقيمة[7].

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الناجح هو مَن يضع الأُمور فيما يناسبها، فيجعل مجال الخطابة هو الإقناع وجذب النفوس إلى الالتزام والطاعة، ويسعى إلى الاستفادة

---

(١) كل مَن ذكر التعريف الاصطلاحي للخطابة، قد أخذ هذا القيد فيه. أُنظر في هذا الصدد: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٢ ـ ٤٢٤. محفوظ، علي، فنّ الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٣. أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي: ص٧ ـ ١١.

(٢) أُنظر: محمد عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص٩.

(٣) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٦٢.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) تعتمد الخطابة على القضايا التي هي من نوع المظنونات، أو المقبولات، أو المشهورات، أمّا الشعر فهو يعتمد على المخيّلات من القضايا. أُنظر: المصدر السابق: ص٤٢٧، وص٤٦٥.

(٦) المصدر السابق: ص٤٢٢.

(٧) أُنظر: المصدر السابق.

من جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الغرض، من البراهين الواضحة والمقبولة والقصص والأمثال والشواهد التاريخية المعروفة والمشهورة بين الناس.

النقطة الثانية: انجرار المُلقي وراء المنافع والمكاسب الدنيوية

عندما نطالع الآيات القرآنية الشريفة نجد أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا بمنأى كبير عن طلب الأجر والمكسب على تبليغهم لرسالات ربّهم، فنجد ـ مثلاً ـ أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، قد تكرّر كثيراً على لسان كل من: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام). ثمّ إنّه حتى النبيّ الخاتم محمد صلى الله عليه وآله عندما أمره عزّ وجلّ أنّ يسأل قومه المودّة في القربى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]، لم يكن سؤاله هذا راجعاً إلى مصلحة دنيوية له أو لأهل بيته عليهم السلام، وإنّما ترجع منفعته إلى الناس أنفسهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾[3]، والسبب في ذلك هو أنّ المودّة لذوي القربى ترتبط بمفهوم الإمامة والولاية، وهو عبارة عن استمرار خط النبوة الذي هو ضروري لدوام هدايتنا نحن المسلمين[4]، وباعتبار أنّ خط المنبر الحسيني هو خط رسالي؛ يجب لذلك أن يبتعد عن السعي الحثيث إلى طلب الأجر.

إنّنا لا نسعى هنا إلى إثبات حكم شرعي فيما يخصّ أصل أخذ الأُجرة؛ فهذا ما تتكفّل به الكتب الفقهية لمراجعنا العظام، وإنّما القصد من ذلك أنّ الخطيب لا ينبغي أن يكون سعيه وهمّه الأساسي من مجلسه الحسيني هو جمع الثروة، فإنّ الهدف الرسالي المفترض ترتّبه على المنبر سوف يتغيّر في أعين الناس، فبدلاً من كونه امتداداً

(١) الشعراء: آية ١٠٩.
(٢) الشورى: آية ٢٣.
(٣) سبأ: آية ٤٧.
(٤) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٣، ص٤٨٧.

للرسالة المحمّدية فإنّه سوف يصبح وسيلة للرزق وطلب المال، وعليه تسقط القيم والمبادئ الدينية في منحدر المادة الدنيوية الدنية، استناداً إلى قاعدة اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

ونحن بالدرجة نفسها التي نشدّ بها على أيدي الخطباء ليجنّبوا منابرهم أن تكون وسيلة لطلب الثروة، نشيد بالدعم الذي تقدّمه بعض المؤسسات ومكاتب العلماء للمبلّغين، وندعوهم إلى المزيد من الرعاية والاهتمام، باعتبارهم الداعم الأساسي للمؤسسة التبليغية في مختلف المجالات، وذلك بأن يؤمّنوا لهم ما يسدّ حاجتهم، ويحفظ لهم مكانتهم وكرامتهم بين الناس، فقد قال سيّد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: «...**والفقر يُخرس الفطن عن حجّته، والمُقل غريب في بلدته**»[2]، وبما أنّ المبلّغ الحسيني في مواجهة مباشرة مع الجمهور؛ ينبغي أن يكون قادراً على هذه المواجهة، وهذا لا يتأتى مع فقره وحاجته وعدم قدرته على تلبية متطلّبات الحياة الضرورية.

النقطة الثالثة: عدم تحلّي المبلّغ الحسيني بالفضائل الأخلاقية

ينبغي للمتصدّي للعملية التبليغية أن يكون متّصفاً بالفضائل الأخلاقية[3] التي تؤهّله لأن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]، فهذه الفضائل ـ في حقيقة الأمر ـ هي صفات ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن العادي، فكيف بمَن يتولّى مهمّة إرشاد الناس ونُصحهم،

(١) أُنظر: الكندي، حسن، طريق الخطابة الحسينية: ص٢٥٨.

(٢) صالح، صبحي، تحقيق نهج البلاغة: ص٤٦٩.

(٣) والتي هي من قبيل: الإيمان والاعتقاد بما يقوله، العمل بما يقوله ويؤمن به، تقوى الله وخشيته، الإخلاص في مقام القول والعمل، حسن القول في الدعوى والإرشاد، مراعاة مشاعر الآخرين في القول والعمل، صفاء النفس وحسن الظن بالآخرين، التواضع وعدم التكبر والعجب، الأمانة العلمية والعملية، الصبر وتحمّل الصعاب، الشجاعة والجرأة. أُنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص٢٠٥ ـ ٢٠١٣.

(٤) الأحزاب: آية٣٩

أوَ ليس من المفترض أن يكون متحلّياً بالصفات الأخلاقية الحسنة؛ حتى يعظم قدره عند الناس، وتكون له مقبولية أكبر، فإنّه من على منبره دائماً يعظ الناس، ويأمرهم بالتحلّي بما أمر الله تعالى من الصفات الحسنة، وينهاهم عن الصفات السيّئة، ومع عدم امتثاله هو شخصياً لهذه الأُمور سوف يكون فاقداً لها، وفاقد الشيء لا يُعطيه[1]، وفي هذه الحالة يكون المبلّغ الحسيني قد أفقد منبره الحضور بين الناس، والقابلية على نشر التعاليم الدينية، كما أنّه بفعله هذا قد أضعف الدين في أعين الناس، وجعله لقمة سائغة للتنكيل والإشكال من قِبل بعض المتصيّدين في الماء العكر، والمشكّكين في قابليته لتنظيم حياة الناس.

وفي مقام معالجة هذه السلبية نقول: إنّ المبلّغ الرسالي الذي أوقف نفسه لخدمة النهضة الحسينية التي هي صمّام الأمان لبقاء الدعوة الإسلامية، ينبغي أن يعي حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنّه في مقام إعمالها بحاجة إلى إرادة وحزم كبيرين، كما ينبغي له أن يضع نصب عينه جميع الوصايا والعبارات التي تنهاه عن أن يقول ما لا يفعل، من قبيل:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[2].

وقوله أيضاً: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[3].

وقوله صلى الله عليه وآله في ذيل الآية أعلاه[4] بحسب ما نقله صاحب تفسير مجمع البيان:

(١) أُنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة: ص٢٠٤.

(٢) الصف: آية٢ـ٣.

(٣) البقرة: آية٤٤.

(٤) أي: آية٤٤ من سورة البقرة، التي قال الشيخ القمّي حول شأن نزولها بأنّها: «نزلت في القُصَّاص والخُطّاب، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبر منهم خطيب مِصْقَعٌ يكذب على الله وعلى

«مررت ليلة أُسري بي على أُناس تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممّن كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم»[1].

ولشدّة قبح هذا الفعل وشناعته فقد أصبح محلّ نقدٍ للشعراء؛ إذ نجد أنّ أبا الأسود الدؤلي ـ مثلاً ـ قد أنشد:

لا تنـهَ عـن خلـقٍ وتـأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

ابدأ بنفسك وانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ[2]

وأنشد سعيد الواعظ أيضاً:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو عليلُ[3]

وخلاصة الحديث في المقام أنّ المبلّغ الحسيني (الرسالي) يجب عليه أن يبدأ ـ أولاً وقبل كل شيء ـ بتهذيب نفسه، ومَن يقع تحت مسؤوليّته، ثُمّ يخرج إلى الفضاء الاجتماعي للقيام بالتثقيف الديني والإصلاح السلوكي.

النقطة الرابعة: ضعف المعلومات لدى المبلّغ الحسيني

من العوامل المهمّة في نجاح المبلّغ الحسيني، سواء في مجال الخطابة أم الشعر، هو غزارة المعلومات، والاطّلاع الكافي على كل ما يتعلّق بالقضية الحسينية، مضافاً إلى غير ذلك من المعلومات الدينية التي يحتاج إليها الخطيب في عملية الوعظ والإرشاد، أو المعلومات التي يحتاج إليها الشاعر في تهذيب مخيّلته الشعرية وتصحيحها[4].

رسوله وعلى كتابه». القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج١، ص٤٦.

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٢١٥.

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب: ج٨، ص٥٦٩.

(٣) قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: ص١٥.

(٤) أُنظر: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، دروس في فنّ الخطابة: ص٢٣ـ ٢٤.

وفي المقابل نجد أنّ المبلّغ الحسيني صاحب المعلومات المتواضعة لا يستطيع كسب ثقة الناس[1]؛ وذلك لشعورهم بأنّ ما يطرحه على المنبر قد لا يكون صحيحاً؛ نتيجة لفقره من الناحية المعرفية، وبالتالي عدم قدرته على التأثير في نفوس الحاضرين، وحملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم واستمالتهم، مما لا يمكن الوصول إليه إلّا بإيجاد عدّة لغات، وخاصّة في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم بشتّى صنوفها، واستُحدثِت فيه وسائل التواصل التي حوّلت العالم الفسيح إلى قرية صغيرة يتواصل أفرادها فيما بينهم بالصوت والصورة[2].

ونتيجة لذلك؛ فإنّ المبلّغ المشار إليه سوف يؤثّر سلباً في الهدف المفترض ترتّبه على منبره، كما أنّه يخلق انطباعاً لدى الناس بأنّ المنبر الحسيني غير قادر على النهوض بالواقع المعرفي لديهم، وبالتالي عدم صلاحيّته للتبليغ والإرشاد الدينيين.

وفي مقام الوقاية من هذا الأثر السلبي أو معالجته، فإنّه لا مناص للخطيب من توسعة دائرة معلوماته، وذلك من خلال مراجعة المصادر المهمّة حول الثقافة الإسلامية: كـ «**القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأُصوله، والقواعد الفقهية، والسيرة النبوية، وعلم العقائد الإسلامية... إضافة إلى العلوم الإنسانية الاجتماعية، والمذاهب المعاصرة الهدّامة، والمعارف المعاصرة... والشبكة العالمية (إنترنيت)، وغير ذلك**»[3].

أمّا بالنسبة للشاعر الحسيني فمن المفترض أن يكون مُلمّاً بجميع الأشعار التي جسّدت مأساة واقعة كربلاء، والأحداث التي سبقتها وتلتها، وأن يكون مطّلعاً على ثقافة المجتمع الذي احتضن أحداث الواقعة، وثقافة المجتمع المعاصر، وسائر مشاكله السياسية والاقتصادية وغيرها؛ وذلك لكي تبتعد أشعاره عن الخرافات والأساطير،

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥.
(٢) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٨١.
(٣) المصدر السابق: ٧٩.

وتُحاكي هموم الأفراد المعاصرين، وتكون وسيلة إعلامية لإيصال صوتهم في حال وقع الحيف والظلم عليهم.

النقطة الخامسة: عدم مراعاة المُلقي لمستوى حال المخاطَبين وظروف حياتهم

من الأُمور التي ينبغي أن يتحلّى بها كل داعية هي مراعاته لمستوى حال مخاطَبيه وظروف حياتهم؛ وذلك لكي يحصل شعور لديهم بأنّ كلمات هذا الداعية وإرشاداته هي لمصلحتهم، وفيها سعادتهم، ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم يجعل قضية مراعاة مستوى حال المخاطَب من القضايا المهمّة والحسّاسة التي ينبغي أن يتوافر عليها جميع الرسل عليهم السلام؛ إذ يقول (عزَّ من قائل): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، والمعنى: «**أنّ دعوة الأنبياء لا تنعكس في قلوب أتباعهم بأُسلوب مرموز وغير معروف، بل كانت توضَّح لهم من خلال التبيين والتعليم والتربية، وبلسانهم الرائج**»[2]، كما ورد في الحديث الشريف أنّ رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله قال: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم**»[3].

وبضميمة الآية الكريمة إلى الحديث الشريف يمكننا أن نخرج بنتيجة، وهي: أنّ الأنبياء والرسل في مخاطبتهم للناس كانوا يراعون اللغة التي يتكلّم بها مخاطبوهم، مضافاً إلى ثقافة الحوار، أي: القوالب التي يمكن من خلالها إيصال المعلومة إليهم، مع المحافظة ـ طبعاً ـ على حقّانية دعوتهم، وخلوّها من الخرافات، والقضايا الكاذبة التي تُلازم بعض أنواع الحوار.

ومن هنا؛ فإنّ الخطيب الحسيني مُلزَم بأن يسير على وفق هذه القاعدة الحوارية؛

(١) إبراهيم: آية٤.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧، ص٤٥٥.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٧.

باعتبار أنّه يسير على وفق نهج الأنبياء والصلحاء في الدعوة إلى الدين الحقّ، ومن دون ذلك ربما لا تصل المطالب التي كان بصدد بيانها من على منبره إلى أذهان الناس بصورة واضحة ودقيقة؛ ممّا يفقد المنبر حيويّته وتفاعله، وصولاً إلى ضعف دوره وقدرته على هدايتهم وإصلاح حالهم.

كما ينبغي الالتفات إلى نكتة مهمّة في المقام، مضافاً إلى مراعاة مستوى حال المخاطَبين، وهي مراعاة ظروفهم، وما يعانونه، بمعنى أنّ المبلّغ ـ خطيباً كان أو شاعراً أو رادوداً ـ ينبغي أن يكون على بيّنة فيما يرتبط بالظروف والمشاكل التي يعانيها مخاطَبوه، وذلك حتى يكون مضمون كلامه وشعره منصبّاً على تقديم المعالجات لتلك المشاكل، وإلّا فسوف يكون منبره بعيداً عن هموم الناس، ممّا يفضي في نهاية المطاف إلى يأسهم من قدرة هذا المنبر على مسايرة الحركات الإصلاحية التي قام بها الأنبياء والأوصياء والصلحاء.

وعلى الرغم من كون هذا الأمر من الواضحات التي يُسلّم بها جميع العقلاء، إلّا أنّه يمكننا أن نذكر شاهداً يدعم مدّعانا في المقام، وهذا الشاهد هو قضية النزول التدريجي للقرآن الكريم، والذي استمر طيلة ثلاث وعشرين سنة، من الحياة المباركة للرسول الكريم محمدﷺ، فإنّ واحدة من الحِكَم المذكورة في المقام، هي: «**أنّ التشريعات إذا كانت تتنزّل بشكل تدريجي تبعاً للحاجات، ويكون لكل مسألة شاهد ومصداق عينيّ، فستكون مؤثرة جداً من ناحية (تلقّي الوحي) وكذلك (إبلاغ الناس)**»[1]، ثمّ إنّ مراعاة الظروف والحاجات يكون له دور كبير في مسألة التبليغ والإرشاد.

وفي مقام حثّ الخطيب على ضرورة مراعاة مستوى حال مخاطَبيه، فإنّنا نُلفت نظره إلى ما قاله بعض الباحثين حول فنّ الخطابة، حيث ذكروا أربعة أهداف أساسية للخطاب، هي[2]:

(١) الشيرازي، ناصر مكارم (وآخرون)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١١، ص٢٤٧.
(٢) اُنظر: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص١٣٩ـ ١٤٠.

١ـ إيضاح شيء ما.

٢ـ التأثير والإقناع.

٣ـ الحثّ على التحرّك.

٤ـ التسلية.

ومن الواضح أنّ الهدف الأساسي للخطاب هو الإيضاح الذي يتأتى مع مراعاة مستوى حال المخاطَبين، فإنّه مع ذلك تكون «**لديهم الرغبة في السماع أولاً، والمتابعة ثانياً، والفهم، وهو المقصود أخيراً**»[١].

أمّا فيما يتعلّق بمراعاة ظروف الناس واهتماماتهم الحياتية، فذلك أمر ينبغي أن يكون نصب عين المبلّغ الحسيني في مختلف فعاليّاته التبليغية، فإنّه عندما يتحدّث من على المنبر مع الآخرين، أو يُلقي عليهم شعراً، ينبغي له أن يُحسّسهم بأنّه مهتم بهم، كما أنّه ينبغي أن يدرك هذه الحقيقة الخطيرة، وهي: «**إنّ سبب إخفاق الكثيرين في أن يُصبحوا محدّثين جيّدين، هو حديثهم عن الأشياء التي تُثير اهتمامهم فقط، وربما يكون هذا مملاً للآخرين**»[٢]؛ لذا ينبغي للمبلّغ الناجح أن يستدرج «**الشخص الآخر** [المستمع] **للتحدّث عن اهتماماته وعمله وأهدافه...**»[٣].

المحور الثاني: العوامل المتعلّقة بالمادة التي تُلقى على المنبر الحسيني والمؤثّرة في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

تُعتبر المادة الخطابية أو الشعرية التي تُلقى على المنبر ركناً أساسياً، فهي البضاعة التي يواجه بها المبلّغ الحسيني جمهوره، ويسعى من خلالها إلى تحقيق الهدف الرسالي الذي يتوخّاه، فالمادة المنبرية هي الرسالة التي تُبرز دور الدين، وتبيّن مكانته في حياة

(١) المصدر السابق: ص١٤٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

الناس، ومن هنا؛ كان من الضروري وضع اليد على بعض العوامل التي من شأنها إضعاف هذه المادة، والتقليل من تأثيرها في أذهان المستمعين، وهذه العوامل يمكن أن نجملها ضمن عاملين أساسيين، يرتبط أحدهما بطريقة العرض للمادة العلمية، وهما:

١ـ **العامل المنهجي**: سنتحدّث في هذا العامل عن أنّ عدم اتّباع المبلّغ للمنهجية الصحيحة في عرض المادة التي يروم إلقاءها على المنبر، سيؤدي إلى عدم مقبوليتها عند المستمعين، أو لا أقل التقليل من حظوظ مقبوليتها لديهم.

وقبل أن نقوم ببيان المنهجية الصحيحة نود الإشارة إلى أنّ حديثنا سوف يقتصر على المادة الخطابية الملقاة من على المنبر؛ وذلك لأنّ الهدف من المادة الشعرية الرثائية هو تهييج العواطف والمشاعر نحو القضية الحسينية[١]، وهذا الهدف يستتبع الرصانة والدقة من الناحية المحتوائية أكثر من الناحية المنهجية، أضف إلى ذلك أنّ هناك اهتماماً والتزاماً كبيرين من قِبل الخطباء والرواديد ـ نتيجة كثرة المعاهد الحسينية والدورات الخاصّة بهذا المجال ـ بكيفية الإلقاء الصحيح للمراثي واللطميات الحسينية.

نعم، من المفترض أن تشتمل المادة الخطابية على منهجية صحيحة، تساعد الخطيب على إيصال مطالبه إلى مستمعيه بسلاسة، وهذه المنهجية عبارة عن اشتمال الخطبة على ثلاثة أقسام أو مراحل، هي:

١ـ المقدّمة[٢]: وهي عبارة عن مدخل للخطبة، يأتي بها الخطيب ليمهّد لأفكاره ويوهم السامعين؛ ليستثير انتباههم.

---

(١) «الرثاء: تعبير عن عاطفة إنسانية جيّاشة، تفيض بالألم، ولوعة لا يرقى إليها الشك، تتوضّح من خلالها صلة الشاعر المرتبطة بالمرثي». إبراهيم، صاحب خليل، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام: ص١٠٦.

(٢) ممّا يجدر لفت النظر إليه هو أنّ بعض الباحثين قد قسّم المقدّمة بلحاظ ضرورة إيرادها وعدم ذلك على أربعة أقسام، هي: ١ـ ضرورة ذكر المقدّمة. ٢ـ عدم ضرورة ذكر المقدّمة، لكنّ ذكرها مفيد. ٣ـ ذكر المقدّمة يكون على خلاف البلاغة. ٤ـ ذكر المقدّمة يستتبع إيقاع الحاضرين في المشقّة والضرر. ثمّ إنّ الباحث في المقام قد أورد مثالاً توضيحياً لكل واحد من الأقسام المذكورة. اُنظر: بيشوايي، مهدي، بايدها ونبايدها خطابه، (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مجلة مبلّغان: ص٥٢ـ ٥٥.

٢ـ **الإثبات (عرض الموضوع)**: وهو عبارة عن مجموعة من الأدلة التي يسوقها الخطيب لإثبات مدّعاه، أو لإبطال حجج الخصم والقضاء على دعواه.

٣ـ **الخاتمة**: وهي عبارة عن موجز لما ألقاه الخطيب، وتوضيح كامل لغايته ومراده[١].

فإنّ إهمال الخطيب لهذه المنهجية وهذا التسلسل المنطقي في طرح الأفكار يؤدي في أغلب الأحيان إلى صعوبة تلقّي الحضور للمطالب الملقاة في المقام، وبالتالي التقليل من حضور المنبر ودوره الفعّال بين الناس، وانحصار هدف الحاضرين في البركة الحاصلة بسبب ذكر مصائب سيّد الشهداء عليه السلام في واقعة الطف.

ومن هنا؛ فعلى الخطيب الساعي إلى ترتّب الهدف الرسالي على منبره، أن يراعي المنهجية الصحيحة التي تتأتى من خلال استماعه لمحاضرات خطباء كبار؛ يتعرّف من خلالها على كيفية تسلسلهم في طرح البحوث، ومراعاة انسجام ذلك مع طبيعة المواضيع المبحوثة، كما أنّه على الخطيب كذلك أن يكون له حضور جاد في الدورات التي تُقام من أجل تعليم كيفية إلقاء المحاضرات المنبرية، أضف إلى ذلك أنّه من المفترض ـ في حالة الإمكان ـ اطّلاعه على نوعية المستمعين، وطبيعة تلقّيهم لموضوع محاضرته، والظروف الزمانية والمكانية لمكان الإلقاء. وبكلمة جامعة: على الخطيب أنّ يعي «**إنّ الخطبة وإلقاءها ليست عملية سهلة وهيّنة، وليست مجرّد كلام يقال دون ترتيب، أو تبويب، أو تنظيم، ولكنّها أمر شاقّ، يحتاج إلى وقت وجهد كاملين... فالخطبة لا بدّ أن تكون متسلسلة منظّمة، وأن تكون واضحة البيان في أُسلوبها، حتى يقتنع المستمع، وتستميله بأدلّتها، وتؤدي الغرض منها**»[٢].

٢ـ **العامل المحتوائي**: يُشكّل المضمون أو المادة العلمية والفكرية والثقافية والأدبية الركيزة الأساسية التي يبتني عليها المنبر الحسيني، ويعتمد عليها المبلّغ في

(١) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٤٧ـ ٤٩.
(٢) أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٤٧.

مواجهة الجمهور؛ ومن هنا نجد أنّ المناطقة قد عبّروا عن المادة التي تتألف منها الحجّة الإقناعية في مجال الخطابة بالعمود[١]، وعبرّوا عن الكلام المخيّل في الشعر بالعمدة[٢]، أي: إنّ المادة في كل واحدة من الصناعتين هي الأداة التي يوظّفها المبلّغ من أجل ربط الجمهور بمعطيات النهضة الحسينية؛ وبالتالي فلا بدّ أن تكون بمستوى يليق بهذه النهضة وصاحبها.

إنّ الحسين عليه السلام هو ممثّل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحركة التغييرية في المجتمع الإسلامي، والشخص الذي يعتلي المنبر هو في الواقع ممثّل عن الحسين عليه السلام، فلا ينبغي أن يبتعد في أُطروحاته وأشعاره عن الحقّ الذي سار عليه الرسول وأهل بيته عليهم السلام، «**فإنّ تحرّي الصدق في كل ما يُذكر على المنبر، وفي كل ما ينقله الخطيب في مواعظه وخطاباته أساس نجاح قراءة العزاء، وبلوغها أهدافها الموسومة لها، من حمل الأُمّة على فهم الخطّ الحسيني الثوري فهماً صحيحاً، يدفعها للوقوف بجانب الحقّ، ورفض الظلم... وعلى خلاف ذلك إيراد القصص الكاذبة والحكايات الباطلة، وتصوير ما حصل في كربلاء بصور مضخّمة، تسيطر عليها المبالغات والتهويلات**»[٣].

إذاً، فمادة المنبر ـ في حال لم يتم بناؤها على أساس الحق والصدق ـ ستكون عاملاً مضرّاً بأهداف النهضة الحسينية، بل إنّها ستوجّه الضربة القاضية لهذه الحركة التغييرية، وتقتلعها من جذورها في قلوب الناس كافّة[٤]، فإنّ هناك قسماً من الناس «**يتربّص بالمنبر، لعلّه يُمسك زلّة من الزلّات، يتّخذ منها مادة للتهريج، وينسى جميع إيجابيات المنبر وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى**»[٥]، وبما أنّ البحث في المقام مبني على الاختصار، فإنّنا نُحيل القارئ العزيز إلى مراجعة المصادر التي استعرضت جملة

(١) أُنظر: المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٥.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٦٥.
(٣) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٥ـ٦.
(٤) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٦.
(٥) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

من الأحداث والوقائع، أو التحليلات المتعلّقة بواقعة كربلاء، والتي يتم ذكرها على المنبر من دون أن يكون هناك دليل على صحّتها وثباتها[1].

ولعمري، فإنّ الخطر الذي يُحدق بالمنبر الحسيني، ويؤدي إلى تشويه أو ضياع هدفه الرسالي جرّاء هذا العامل المخرّب والهدّام واضح جداً، وأوضح منه ضرورة التحرّك الحثيث والسعي الجاد من أجل الوقاية من هذا الوباء الفتّاك أو معالجته، فإنّ ما يُتراءى للبعض من حاجتنا في بلورة النهضة الحسينية إلى مثل هذه الادّعاءات والافتراءات محض توهم، فإنّ «**واقعة كربلاء من أغنى الوقائع التاريخية المدعّمة بالوثائق والأسناد المعتبرة... فالمؤرّخون الإسلاميون المعتبرون دوّنوا ونقلوا لنا وقائع عاشوراء بالأدلة والوثائق الدامغة منذ القرن الأول والثاني، والروايات الواردة في هذا الشأن إمّا متطابقة أو قريبة جداً من التطابق مع بعضها البعض**»[2].

ومع هذه الحقيقة فهل يُعذَر المبلّغ الحسيني في ذكره قضايا بعيدة عن الصحة والثبات على المنبر، أوَليس فعله هذا مخالفة واضحة للمنهج الذي سار عليه الأنبياء عليهم السلام في مقام تبليغهم للرسالات الإلهية؟! فإنّ المطالع للآيات القرآنية يجد أنّ هناك صفتين رئيستين قد اقترنتا برسالة الأنبياء، وهما صفتا الصدق والأمانة، وهذا واضح جداً من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[3]، الذي ورد في قصّة كل من أنبياء الله تعالى: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب)، كما قرن الله تعالى هذه الصفة أيضاً برسالة نبي الله موسى عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ

(١) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٢١٠ ـ ٢١٦. مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج١، ص١١ـ ٢٢ وص٥١ـ ٧٠. إسفندياري، محمد، عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة، مجلة نصوص معاصرة: العدد ٩، ص١٧ـ ٢١، وص٢٤ـ ٣٠.

(٢) مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية،: ج١، ص٢٢ـ ٢٣.

(٣) الشعراء: آية ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

﴿فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[1].

أمّا فيما يتعلّق بفضيلة الصدق، فنجد أنّ الله تعالى قد وصف بها مجموعة من أنبيائه، وهم كل من (إبراهيم[2]، وإسماعيل[3]، ويوسف[4]، وإدريس[5])، ناهيك عن أنّ النبي الخاتم محمداًﷺ، المتحلّي بأحسن الصفات الروحية والأدبية والأخلاقية والبدنية، قد برزت له ـ من بين جميع ذلك ـ صفتا الصدق والأمانة، بحيث أصبح يُلقّب بـ(الصادق الأمين)؛ وما ذلك إلّا للأثر الكبير الذي يترتّب على هاتين الصفتين في مقام ظهور دعوتهﷺ وانتشار رسالته، وأنّ فقدانهما موجب للريب والشكّ باتّصاله باللهعزّوجلّ[6].

وبناءً على جميع ما تقدّم؛ فعلى المبلّغ الحسيني (خطيباً كان، أو شاعراً، أو راادوداً) أن يحذر أشدّ الحذر من جعل منبره ساحة للأساطير والخرافات، والأحاديث غير الثابتة، بأيّ واحدة من الطرق العقلائية، كما أنّ عليه أن يُوسّع من دائرة معلوماته؛ حتى لا يقع في الضيق والحاجة إلى الكلام بأُمور لا ينبغي طرحها على المنبر.

ومن هنا ولأجل إيقاف الناس على مصلحة دينهم ودنياهم، ذكر بعضٌ أنّ الخطيب الواعظ ـ والكلام يشمل المبلّغ الحسيني عموماً ـ لا بدّ: «**أن يكون علمه بالمباني الدينية كافياً، ولا بدّ أن تكون معرفته بالإسلام كاملة، مطّلعاً على روح التعاليم الإسلامية، عليه أن يعرف ظاهر الإسلام، وباطن الإسلام، وقشور الإسلام، ولباب الإسلام، كلّاً في مكانه وموضعه، لكي يعرف ما معنى المصلحة الدينية. ثمّ إنّ مجرّد**

---

(١) الدخان: آية ١٧ـ١٨.
(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٤١.
(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٥٤.
(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ...﴾. يوسف: آية ٤٦.
(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. مريم: آية ٥٦.
(٦) أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ: ج٢، ص١٠٧ـ١٠٨.

معرفة الدين لا تكفي لتبيان المصالح، بل عليه أن يعرف المجتمع، وأن يطّلع على أوضاع الدنيا، وعلى ما يجري فيها، ليُدرك أين مصلحة المجتمع الإسلامي اليوم...»[1]. فإنّ المبلّغ الحسيني مع توفّره على هذه المعرفة الواسعة سوف لا يحتاج إلى ملء مادة منبره بالأُمور الباطلة أو غير الثابتة.

وأخيراً، فإنّه من الآليات المهمّة في الحدّ من تفشّي هذا الأثر السلبي، هو وجود جهة تُراقب ما يُطرح على المنبر، وتقف في مواجهته عندما يكون عائقاً أمام تحقّق الهدف الرسالي المنشود، وهذه الجهة لا يمكن أن تكون غير المرجعية الرشيدة، وما تمتلكه من وكلاء ومعتمدين منتشرين في أرجاء العالم الشيعي، فإنّها صمّام الأمان لحفظ أهداف المنبر الحسيني من التشويه والضياع، فما نأمله في المقام هو أن تسعى المرجعية الرشيدة مضافاً إلى ما تقوم به من مؤتمرات توجيهية قبل مواسم التبليغ إلى مراقبة ما يُقال على المنابر الرئيسة في كل منطقة تقع تحت نظرها، وتنبيه المبلّغين المقصّرين، واتّخاذ الإجراءات اللازمة في حال عدم توقفهم عن ذلك.

وفي هذا الصدد نجد السيّد الشهيد محمد باقر الصدر يقول بشأن ضرورة وجود هكذا أمر: «**أن تكون لهم مؤسّسة مركزية يصدرون عنها في مناهج موحّدة، وتوجيهات تصدر لهم في ذلك، كما تعمل هذه المؤسّسة على التعريف بهم في داخل العراق وخارجه، ممّا يُعطيهم زخماً ومكانة معترف**[2] **بها، وتكون المؤسّسة تحت ظلّ المرجعية**»[3]، وقد شاطر السيّد الشهيد في هذه الرؤية المهمّة الشيخ الوائلي، وذلك عند حديثه عن المؤسّسة المؤهّلة لبناء المنبر[4].

(١) مطهّري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص٢٢٢.
(٢) هكذا وردت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح فيها: معترفاً (بالنصب).
(٣) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١١١، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدر.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٦١ـ ٦٤.

المحور الثالث: دور المحيط في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

يتألّف المحيط الذي يمارس فيه المبلّغ الحسيني وظيفته المنبرية من قسمين رئيسين، هما:

١ـ المهتمّون بالطرح المنبري (الجمهور المتلقّي).

٢ـ الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر.

ويمكن تقسيم الجمهور الذي يتلقّى ما يُطرح على المنبر ويهتم به على قسمين فرعيين، هما:

١ـ المهتمّون بالمنبر من الشيعة.

٢ـ المهتمّون بالمنبر من غير الشيعة[١].

ومن هنا؛ فإنّه توجد لدينا ثلاثة أقسام تُشكّل المحيط الذي يواجهه المنبري، الذي ينبغي له أن يكون على دراية تامّة بالعوامل المؤثّرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي لمنبره، والمرتبطة بأيّ واحد من الأقسام المذكورة في المقام؛ وذلك من أجل القيام بالحدّ منها وعلاجها. وبناءً على ما تقدّم فإنّ حديثنا في هذا المحور سيكون في ثلاث نقاط:

النقطة الأُولى: المهتمّون بالمنبر من الشيعة وأثرهم في تضييع وتشويه هدفه الرسالي

إنّ المهتمّين بالمنبر من الشيعة هم في الحقيقة يشكّلون القسم الأكبر والأكثر تأثيراً من بين الأقسام التي يتألّف منها المحيط الذي يواجهه المنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ المبلّغ يكون دائماً في مواجهة مباشرة أو شبه مباشرة مع هذا النوع من المتلقّين، كما أنّه بصدد توظيف خطبه وأشعاره الرثائية في إقناعهم وتهييج نفوسهم وعواطفهم، وبالتالي

(١) المصدر السابق: ص١٣، نقلاً عن السيّد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره.

فأيّة سلبية في المقام سوف تكون عائقاً مباشراً أمام المبلّغ الحسيني في تأدية مهمّته الرسالية. ويمكن تقسيم جمهور المهتمّين بالمنبر من الشيعة على ثلاث فئات، هي:

الفئة الأُولى: وهم الذين يطمحون إلى أن يكون المنبر وسيلة إعلامية ثقافية حضارية، تتحرّك على وفق ضوابط علمية محدّدة، وخالية من الثغرات والمفارقات، أمّا مسألة البكاء واستشعار المصيبة جرّاء ما حصل في واقعة الطفّ، فهي قضيّة ثانوية لا ينبغي التركيز عليها بشكل كبير، فالمهم في المقام هو تصدي المنبر الحسيني لحل مختلف المشاكل التي يعانيها الواقع الشيعي.

الفئة الثانية: وهم الذين يرون أنّ المنبر الحسيني هو وسيلة للحصول على الثواب من خلال مواساة أهل البيت عليهم السلام فيما وقع عليهم من مصائب ومحن، وعليه فإنّ المبلّغ الحسيني الناجح برأيهم هو القادر على جعلهم يعيشون تفاصيل التجربة العاشورائية، وكذا سائر التجارب الأليمة التي مرّ بها عموم أهل البيت عليهم السلام، فنراهم مهتمّين بشكل كبير بكون المبلّغ يمتلك صوتاً شجياً وبراعة كبيرة في تصوير الأحداث، وأمّا قدرته العلمية في توضيح المطالب الدينية فهي قضية ثانوية، بل هامشية.

الفئة الثالثة: وهم الذين يجمعون بين طموح كلتا الفئتين أعلاه، فهم يرون أنّ الإمام الحسين عليه السلام الذي قال عن نفسه: «**أنا قتيلُ العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر**»[1]، هو بنفسه صاحب الكلمة الخالدة التي رسمت الهدف الأخلاقي لحركته عليه السلام، والتي قال فيها: «... **وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي** صلى الله عليه وآله، **أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب...**»[2].

وبعبارة أُخرى: إنّ هذه الفئة ترى أنّ العَبرة الحسينية لا بدّ أن تكون في مصبّ

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٠٨.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

بناء مكارم الأخلاق، وأن تتناغم مع أهداف الرسالة المحمّدية، وهذا الأمر لا يتأتّى إلّا من خلال التفاعل مع القضية التي استُشهد من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام، كما أنّ تفعيل دور البكاء ـ في المقام ـ لا يؤدّي مفعوله في النفس إلّا إذا عرف الإنسان آثاره الإيجابية، وسعى إليه، وتفاعل مع القضية التي بكى من أجلها، باعتبار أنّ البكاء باب من أبواب الفضيلة والكمال الإنساني[1].

وبعد أن بيّنا طبيعة كل واحدة من الفئات الثلاثة نقول: إنّ هذا الاختلاف الحاصل بين شرائح المتلقّين الشيعة نفسه هو عامل سلبي، وله آثار مخرّبة، تؤدّي إلى تشويه أو تضييع الهدف الرسالي للمنبر الحسيني؛ وذلك لأنّ الاختلاف المذكور هو نتاج منظومات فكرية مختلفة، وسوف يكون مستتبعاً لاختلاف مزاجي بين الفئات الثلاثة، ويكون له تأثير كبير في شخصية المبلّغ الحسيني الذي يرتقي المنبر، ونوعية الرسالة التي يطرحها؛ ممّا يجعل بعض المبلّغين ينصاعون لتحقيق رغبة الفئة الأكثر تفاعلاً، أو الأكثر حضوراً، وذلك على حساب الهدف الرسالي المرجو من المنبر الحسيني.

نعم، قد يقول قائل: إنّ سعي المبلّغ الحسيني من خلال منبره لتحقيق الرغبة الجماهيرية سوف يكون وسيلة إلى تحقيق الهدف الرسالي، وإنّ أيّة مكانة أو وجاهة يحصل عليها من خلال الجماهير لا تكون عائقاً أمام تحقيق ذلك الهدف.

وهنا نقول: ربما يُتصوّر أنّ جعل الرغبات المذكورة وسيلة لتحقيق الهدف الرسالي للمنبر كلام مقبول وصحيح بحسب ظاهره، إلّا أنّه بعد التأمّل والتدقيق يمكننا أن نوجّه إليه ملاحظات عدّة، هي:

١ ـ إنّ هذا الحديث لا يشمل جميع المبلّغين، فمنهم مَن يبحث عن الثروة ووفرة المال، ومنهم مَن يبحث عن الوجاهة، ومنهم مَن يلجأ إلى بعض الأساليب المريحة

(١) أُنظر: السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدولية: ص٩٥ ـ ٩٦.

بسبب الفقر العلمي الذي يعانيه، وقد بيّنا هذه الأُمور في المحور الأول من هذه الدراسة.

من هنا؛ فإنّ وجود هذا التعدّد المزاجي قد يكون عاملاً قوياً إلى سعي أُولئك المبلّغين إلى تحقيق ما يصبون إليه، وذلك على حساب ضياع أو تشويه الهدف المرجو ترتّبه على منابرهم، وهنا بودّي أن أُذكّر القارئ الكريم بالقاعدة الأساسية التي بيّنها الإمام زين العابدين عليه السلام[1]، والتي تتلخّص في أنّ المنبري ينبغي له أن يُحقّق أولاً وقبل كل شيء رضا الخالق، وبعد ذلك يسعى إلى تحقيق رضا المخلوق، فإذا كان الداعي الأوّل للمبلّغ الحسيني هو تحقيق الرضا الإلهي، فسيكون ذلك حصناً من الانجرار وراء الرغبات المخرّبة لبعض المتلقّين.

٢ـ ليست جميع رغبات الفئات المذكورة تصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمنها ما يُبعد المنبر بصورة تدريجية عن روح النهضة الحسينية، ومنها ما يحجّم دور المنبر ويحصره في زاوية محدّدة.

فلو أنّنا رجعنا إلى الفئة الأُولى، وتأمّلنا في مطلبها، لوجدنا أنّ طموحها الرامي إلى التركيز على الجوانب المعرفية بكلا بُعديها الديني والعلمي، والتركيز أيضاً على المشاكل التي يعانيها الفرد والمجتمع في حياته اليومية، هو مطلب سامٍ، وهو أيضاً انعكاس حقيقي للهدف الرسالي الذي سعى إلى تحقيقه الأنبياء عليهم السلام من وراء دعواتهم السماوية، إلّا أنّ جعل البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام أمراً ثانوياً، ومطلباً غير

(١) ذكر صاحب المناقب وغيره أنّه رُوي: «أنّ يزيد (لعنه الله) أمر بمنبرٍ وخطيبٍ؛ ليُخبر الناس بمساوي الحسين وعلي عليهما السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد (لعنهما الله)، فذكرهما بكل جميلٍ، قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار، ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد؛ فأتكلّم بكلماتٍ لله فيهنّ رضاً، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجْرٌ وثواب...». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٧.

أساسي، قد يزرع في نفوس الأجيال أنّ هذا الأمر غير مهم، ويمكن الاستغناء عنه، في حين أنّه يعتبر: «**من عمدة أقسام الشعائر الحسينيّة كما في كلمات الفقهاء والمحقّقين والمؤرّخين، بل نستطيع أن نسمّيه الشريان الدموي للعديد من الأقسام في الشعائر الحسينية... فإنّ كل هذه الظواهر المختلفة من الشعائر الحسينية، حينما تريد أن تتألّق وتحلّق وتبلغ ذروتها تصل إلى حدّ البكاء، فالبكاء حينما جعلناه قسماً من أقسام الشعائر الحسينية، فإنّه في الحقيقة هو ليس قسماً مقابل الأقسام الأُخرى، بل ربّما جعله بعضهم مَقسماً لأقسام الشعائر الحسينية**»[1].

وفي الحقيقة أنّ ربط المنبر الحسيني بالمعارف المتنوعة، وتقديم الحلول الناجعة للمشاكل الحياتية، لا يؤمّنه إلّا البكاء، فإنّنا لو جرّدنا المحاضرات المنبرية عن البكاء أو همّشناه، فسوف نفقد هذه الجذوة العاطفية التي أصرّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام على بقائها واستمرارها، من خلال تشجيعهم المتواصل على إقامة المجالس وإحيائها. ولعمري، إنّ هذه الكلمة المشهورة (الإسلام محمّدي الوجود حسيني البقاء) التي يتناقلها عموم الشيعة هي خير معبّر عن ضرورة عدم التفريط بهذا البُعد العاطفي الناشئ من البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام في منابرنا الرسالية.

أمّا فيما يخصّ الفئة الثانية، فإنّنا وإن كنّا نعتقد أنّ البكاء على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، الناتج عن استشعار ما جرى في تلك الواقعة الأليمة يُعدّ عمدة الشعائر الحسينية ولبابها، وأنّ الروايات قد تضافرت في بيان فضله والثواب عليه[2]، إلاّ أنّ هذه الشعيرة المهمّة ليست هي النتيجة الوحيدة المترتّبة على الحركة التغييرية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام بمعيّة أهل بيته وصحبه[3]، وإنّما توجد ـ في المقام ـ نتيجة أُخرى

(١) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٢٥٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥٦.

(٣) من المهمّ أن ننوّه بأنّنا لسنا هنا بصدد الخوض في النزاع الدائر بين الباحثين حول الهدف من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ضدّ طاغية بني أُميّة يزيد بن معاوية (لعنه الله)؛ وذلك لأنّ هذا البحث

لها الدرجة نفسها من الأهمّية، وهي أنّ استلهام مجريات هذه الحركة التغييرية أصبح مقروناً بحركة رسالية تسعى إلى تهذيب وإصلاح واقع الحياة الدينية للفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي بشكل عام، وذلك في مختلف الأبعاد (المعرفية، والسلوكية، والاجتماعية، والسياسية) وغير ذلك، وبالتالي فإنّ المنبر الحسيني الذي هو الوسيلة الإعلامية الأكثر أهمّية في مقام إبراز البُعد الرسالي للنهضة الحسينية، لا يمكن أن نحصره في الحالة العاطفية الحاصلة بسبب استشعار حالة المظلومية والمأساة التي عاشها سيّد الشهداء عليه السلام ومَن معه في فاجعة الطف.

ومن هنا؛ فلا يبقى لدينا إلّا ما رغبت فيه الفئة الثالثة من متلقّي المنبر الحسيني، فهو بحقّ مطلب يصبّ في مصلحة الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، مع عدم إهداره للحالة الروحية الناتجة عن التجربة العاشورائية للمستمعين، هذه التجربة الحاصلة بسبب ما يصوّره الخطباء والشعراء والرواديد، وما يتلونه من قصائد ترثي الحسين عليه السلام ومَن استُشهد معه من أهل بيته وصحبه، أو ما جرى على السبايا بعد يوم العاشر من المحرّم.

النقطة الثانية: المهتمّون بالمنبر من غير الشيعة

لم يكن المنبر الحسيني في فترة من فتراته موضع متابعة أفراد الطائفة الشيعية واهتمامهم فقط، وإنّما يوجد من الطوائف الأُخرى من غير الشيعة مَن يُتابع ويهتم بما يُقال وما يُتلى على المنبر، وهنا يمكننا أن نستفيد من تجربة عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الوائلي في تقسيم هؤلاء النوع من المتلقّين على فئتين، هما:

الفئة الأُولى: وهم الذين يريدون التعرّف على التشيّع عن طريق هذه الفعالية

واسع جداً، ويحتاج الخوض فيه إلى دراسة أكثر شمولاً. نعم، نحن في المقام بصدد الحديث عن النتائج المترتّبة على النهضة الحسينية، تلك النتائج التي من المفترض أن يكون المنبر الحسيني وسيلة لتحقيقها.

المعلَنة التي تُبرز الشيعي في ممارساته العقائدية بوضوح تام، بعيداً عن التستّر والتقية، ممّا يجعلهم يرون ويسمعون ميدانياً كل ما يُنسب لهذه الطائفة من فعاليات يصوّرها بعضٌ أنّها لا تلتقي مع تعاليم الدين الإسلامي.

الفئة الثانية: وهم الذين يتربّصون بالمنبر ليُمسكوا بزلّة من الزلّات التي قد تصدر منه؛ وذلك بُغية اتّخاذها مادة للتهريج والتعتيم على جميع إيجابيات المنبر، وجهاده في سبيل العقيدة والدعوة إلى الله تعالى[1].

وفي مقام ارتباط كل واحدة من الفئتين المذكورتين بموضوع البحث نقول: إنّ الفئة الأُولى لا يمكن أن تكون عاملاً مباشراً مؤثّراً في تضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، وإنّما ستكون ردّة الفعل الصادرة منها في حال كونها ضدّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ناتجة عن عوامل سلبية موجودة في شخصية المبلّغ الحسيني، أو نوعية المحتوى الذي يطرحه على المنبر؛ فإنّ هذين الركنين الأساسيين من أركان المنبر، إذا أصابهما الخلل فإنّ الناتج سيكون هو عدم وصول الصورة الحقيقية للبُعدين المعرفي والسلوكي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فإنّ ردّة الفعل الحاصلة لدى أفراد هذه الفئة سيكون سببها ضعف المنبر الحسيني ـ نتيجة العوامل السلبية المذكورة ـ في إيصال رسالته إلى الآخرين من دون نقصان وتشويه، وقد أشرنا بصورة مفصّلة إلى السلبيات التي يمكن أن يُبتلى بها كل واحد من الركنين المشار إليهما في المحورين الأوّل والثاني من هذه الدراسة.

أمّا الفئة الثانية فقد يكون حالها في بعض الأحيان حال الفئة الأُولى، أي: إنّها تنطلق في مقام توجيهها سهام النقد والتجريح للمنبر، وتضعيفها لدوره الرسالي في المجتمع، ممّا فيه من سلبيات، سواء كانت في شخصية المبلّغ الحسيني أم في المادة التي تُطرح على المنبر، وفي هذا الصدد يقول المرحوم الشيخ الوائلي: «**ومن المؤسف أنّ**

(١) اُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

بعض المنابر قد لا يكون متثبّتاً في نقله، أو يكون متسرّعاً في أحكامه، أو ليس على علم بما يعالجه من موضوعات، يوفّر لهذا المتربّص مادة للتهريج، ويتّخذ منه هذا المهرّج تعميماً لا مبرّر له، وينتزع منه أحكاماً، كما ينعت هذا المنبري بنعوت غير صحيحة»[1].

إلّا أنّه وفي أحيان أُخرى كثيرة يكون التهريج الذي يمارسه أفراد هذه الفئة على المنبر الحسيني خصوصاً، وعلى الطائفة الشيعية عموماً، ناشئاً عن حقد وخبث سريرة دفينين، وهذا ما نشاهده كثيراً هذه الأيام على بعض فضائياتهم المغرضة، وشبكات التواصل الاجتماعي لديهم؛ إذ يسعون عبر هذه الوسائل الإعلامية جاهدين إلى تشويه صورة المنبر الحسيني من خلال قيامهم بتقطيع كلام الخطباء، أو الشعراء، أو الرواديد، وأخذهم بالمقاطع التي توحي ـ بعد تجريدها عمّا قبلها وبعدها ـ بالكفر أو الغلو، ونشرها بصورة متتالية في برامج أو فواصل إعلامية معيّنة، وبالتالي فالمنبر بواسطة هذا التدليس المشين سوف يكون وسيلة لإبعاد الناس عن الأخذ برسالة الإسلام الناصع والحقيقي، والهدف الرسالي الذي يسعى المبلّغ الحسيني إلى الوصول إليه من خلال هذه الوسيلة الإعلامية.

ونحن في مقام الوقوف في وجه هذه المكيدة الشيطانية والحدّ من تأثيرها في عقائد الناس نأمل في تحقّق أمرين مهمّين، هما:

١ـ السعي الحثيث من قِبل الجهات المسؤولة والمتصدّية للعمل المنبري (علماء، فضلاء، خطباء، شعراء، رواديد) إلى تعرية هذه الفضائيات، أو وسائل التواصل الاجتماعي والكشف عن زيفها؛ وذلك من خلال متابعتها وبيان مكامن التدليس والتشويه فيما تنشره وتنسبه، مستفيدين من المداخلات التي يقوم بها أشخاص من ذوي الخبرة والكفاءة في كيفية الردّ على مثل هكذا أُمور، مضافاً إلى مقدرتهم العلمية الكبيرة في الدفاع عن المذهب الحقّ.

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

٢ـ الدقّة الكبيرة التي ينبغي أن يتحلّى بها المبلّغون في كل ما يطرحونه على منابرهم، فعليهم أن يبتعدوا عن كل ما من شأنه أن يستغلّه الطرف الآخر في مقام التشهير بالمنبر الحسيني، خصوصاً بعد هذا الانفتاح العلمي في مجال التواصل، وصيرورة العالم بمثابة قرية واحدة، وبعبارة أُخرى: إنّ المبلّغين عليهم أن يعوا حقيقة أنّ المنبر لم يعد حالة خاصّة ومنحصرة في بيئة معيّنة، بحيث يتم ممارستها بصورة عفوية تمتاز بالسهولة والتسامح، وإنّما أصبح بالإمكان تحويله ـ في حال لم يتم ضبطه بدقّة متناهية ـ إلى وسيلة قابلة لأن تُصاغ منها مادة اتّهام للمذهب الشيعي[١].

النقطة الثالثة: الظروف والأوضاع التي تُحيط بالمنبر الحسيني

إنّ المنبر الحسيني باعتباره في مواجهة دائمة مع الجمهور، فهو ـ إذن ـ يعيش في بيئة مجتمعية تشتمل على ظروف وأوضاع معيّنة، يمكن أن تشكّل في بعض الأحيان تحدّيات تُهدّد قدرة المبلّغ الحسيني على أداء دوره الرسالي من خلال منبره، وهذه الأوضاع يمكن تقسيمها على أربعة، هي:

١ـ الوضع الثقافي: وهو عبارة عن التطوّر في مجال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، هذا التطوّر الذي أسهم بشكل فعّال في الانفتاح على مختلف الثقافات والرؤى والأفكار، خصوصاً في مجال الثقافة الدينية التي أصبحت الشّماعة التي يُعلّق عليها بعضٌ جميع الإخفاقات التي أدّت إلى تقهقر المسلمين وضعف قوّتهم. وبالتالي فإذا لم تكن أُطروحات المنبر الحسيني وغيره من المؤسّسات الدينية الإسلامية مهيمنة على مجمل القضايا الثقافية التي يتم تداولها بين الناس، وذلك من خلال توسعة الدائرة الثقافية والمعلوماتية للمتصدّين في هذه المؤسّسات، فإنّ الدور الرسالي الملقى على عاتقهم سوف يُمنى بالضياع أو التشويه جرّاء الحملات الداخلية والخارجية الرامية إلى عزل الدين عن جميع المفاصل الحيوية في حياة الناس[٢].

(١) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٥.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٨٣.

٢ـ الوضع السياسي: وهو جملة المضايقات التي تمارسها الحكومات أو بعض الجهات السياسية على المنبر الحسيني، خصوصاً مع ملاحظة القاعدة الجماهيرية التي تتمتّع بها هذه الوسيلة الإعلامية الدينية، فإنّ هذا الحضور الفعّال للمنبر الحسيني بين الجمهور سوف يُثير التخوّف والتحسّس من قِبل بعض الحكومات والأنظمة[١]، أضف إلى ذلك التحزّب والانتماء السياسي لبعض المقيمين للمجالس الحسينية، ممّا ينعكس قهراً على طبيعة الخطاب الديني المنبري الذي يتم طرحه في مجالسهم، وبالتالي فإنّ هذا الوضع بمجمله قد يُشكّل عائقاً أمام حصول الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

طبعاً، إنّ تحلّي المبلّغ الحسيني بالصفات والفضائل الأخلاقية، من قبيل: الشجاعة، والجرأة، والاتّكال على الله تعالى، وكذلك وعيه بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، سيكون ـ ممّا لا شكّ فيه ـ عامل قوّة في مقابل هذا الوضع السياسي المتردّي.

٣ـ الوضع الاجتماعي: تكمن خطورة هذا الوضع في تحجيم الطرح المنبري، وجعله ينسجم مع الأعراف الاجتماعية، والعادات والتقاليد العشائرية، وبالتالي عدم الحرّية الكافية التي ينبغي أن يتمتّع بها المبلّغ الحسيني لتأدية مهمّته الرسالية.

نعم، يمكن التقليل من خطر هذا الوضع من خلال توسعة المساحة التي يشغلها المنبر الحسيني، مع منحه الدعم والإسناد الكافيين من قبل المؤسّسات ذات الشأن في المقام[٢]، والمتمثّلة في المرجعية الرشيدة، وفضلاء الحوزة العلمية المباركة، وشيوخ العشائر المخلصين، وأهل الصلاح والوجاهة من المؤمنين.

٤ـ الوضع الاقتصادي: تعتبر الموارد المالية من الدعامات المهمّة لإقامة المجالس الحسينية، واستقدام المبلّغين الجيّدين، وتهيئة الأُمور اللازمة لمكان إقامة المجلس،

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٥.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٦.

وجعل الحضور يحظون بمستوى راقٍ من الخدمات، ومن هنا؛ فمع ضمور هذه الموارد، وتلكّؤ الأوضاع الاقتصادية، سوف تضيق مساحة المنبر الحسيني؛ ممّا يؤدي إلى انحسار القدرة على إرساء معالم الهدف الرسالي للنهضة الحسينية[1].

هذا، ويمكننا ملاحظة أمرين مهمّين بشأن هذا النوع من الأوضاع المحيطة بالمنبر الحسيني، وهما:

١ـ إنّ تردّي الوضع الاقتصادي للناس إذا كان يؤدّي إلى التقليل من عدد المجالس الحسينية، أو عدم قدرة بعض الناس على إقامة المجالس، فهذا الأمر لا يرتبط بتضييع أو تشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني، فمتى ما أُقيم المنبر، وارتفعت سائر العوامل السلبية الأُخرى، فإنّ الهدف سوف يترتّب عليه بلا إشكال، أمّا إذا كان التردّي المشار إليه يؤدّي إلى عزوف بعض المبلّغين الحسينيين الجيّدين، وعدم تأديتهم لواجبهم التبليغي، ممّا يُشكّل صورة سلبية قد تنعكس على رسالة المنبر الحسيني، فإنّ هذا الأمر مرفوض جداً، وهو من العوامل المخرّبة التي تتعلّق بشخصية المبلّغ الحسيني التي تم الحديث عنها في المحور الأول من هذه الدراسة.

٢ـ إنّ ممّا يبعث على الاطمئنان في المقام هو أنّ الشيعة يبذلون دوماً الغالي والنفيس من أجل إقامة المجالس الحسينية، وأنّهم في أحلك الظروف الاقتصادية التي يمرّون بها يواظبون على هذه الشعيرة الخالدة، كما أنّهم يتحمّلون من أجل المشاركة في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام أقسى أنواع المتاعب والشدائد.

وبناءً على ذلك؛ فإنّ تحسّن الأوضاع الاقتصادية ممّا يلقي بظلاله على ازدهار المنابر الحسينية، إلّا أنّ انحسار الموارد المالية للشيعة وتردّي أوضاعهم الاقتصادية لا يُعدّ ـ في حدّ ذاته ـ عاملاً مؤثّراً إلى درجة خطيرة في تضييع وتشويه الهدف الرسالي للمنبر الحسيني.

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨٦ـ ٣٨٧.

النتائج

١ـ يسعى القرآن الكريم ـ الذي هو الرسالة الإسلامية الخالدة ـ من خلال ما يشتمل عليه من مضامين دينية ودنيوية إلى تحقيق هدف رئيس ومهم، وهو هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور.

٢ـ إنّ مهمّة تبليغ الرسالة الإسلامية بنصّ القرآن الكريم قد أُوكلت إلى شخص النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله.

٣ـ إنّ النهضة الحسينية تُعدّ امتداداً للرسالة الإسلامية، وهذا واضح من خلال الهدف الإصلاحي الذي أعلنه الحسين عليه السلام، وكذلك إصرار الأئمّة عليهم السلام على إحياء ذكرى عاشوراء في كل عام.

٤ـ إنّ المنبر الحسيني هو العامل الحيوي والفعّال في دوام النهضة الحسينية واستمرارها.

٥ـ من الممكن أن يُبتلى المنبر الحسيني بمجموعة من العوامل التي من شأنها تضييع أو تشويه هدفه الرسالي، وهذه العوامل قد تكون متعلّقة بشخصية المنبري، من قبيل: عدم رعايته للفنّ الذي يمارسه على المنبر، وانجراره وراء المكاسب الدنيوية (المادية)، وعدم تحلّيه بالفضائل الأخلاقية، وغير ذلك، وقد تكون العوامل المؤثّرة ـ المشار إليها ـ متعلّقة بالمادة المُلقاة على المنبر، سواء من جهة عدم امتلاكها للمنهجية الصحيحة في العرض، أو من جهة ضعفها من ناحية المحتوى. ثمّ إنّه يوجد صنف آخر من العوامل المؤثّرة ينبثق من المحيط الذي يُقام فيه المنبر، وهذه العوامل تتعلّق تارةً بجمهور المنبر من الشيعة، وتارةً أُخرى بالمهتمّين بالمنبر من غير الشيعة، وتارةً ثالثة بالأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تُحيط بالمنبر.

٦ـ ومع ملاحظة العوامل المذكورة في النقطة السابقة فعلى المبلّغ الحسيني أن يسعى جاهداً إلى رفع تلك العوامل، وذلك من خلال إصلاح نفسه من الناحيتين المعرفية والأخلاقية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أُصول المحاضرات، السيّد كامل الهاشمي، مؤسّسة أمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي (وآخرون)، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم المقدّسة، ط١، ١٤٢١هـ.

٣ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤ـ بحوث معاصرة في الساحة الدولية، محمد السند، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥ـ بين المنبر والنهضة الحسينية، مرتضى مطهّري، دار الإرشاد، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٦ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، مؤسّسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف ـ العراق.

٧ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي، المعروف بابن شعبة الحرّاني، تحقيق: علي أكبر غفّاري، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٨ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تحقيق: الطيّب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم المقدّسة ـ إيران، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٩ـ خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٠ـ الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي، عبد الرحيم أرشد، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١١ـ الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر

والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢ـ الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك، بيت العلم للنابهين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٣ـ دروس في فنّ الخطابة، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
١٤ـ الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، دار زين العابدين عليه السلام.
١٥ـ الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفّار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيّد جعفر مرتضى العاملي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٧ـ الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، اتّحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠م.
١٨ـ طريق الخطابة الحسينية، حسن الكندي، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
١٩ـ فقه الرضا، علي بن بابويه القمّي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدّسة ـ إيران، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٠ـ فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام.
٢١ـ فنّ الخطابة، ديل كارنيجي، الأهلية، ط١، ٢٠٠١م.
٢٢ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ١٣٩٧هـ.
٢٣ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط٢، ١٤١٠هـ.
٢٤ـ اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، حسين النوري الطبرسي، تعريب: إبراهيم البدوي، دار البلاغة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٥ـ المبسوط، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: محمد علي الكشفي، المكتبة الرضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ.
٢٦ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: محمد جواد البلاغي، منشورات ناصر خسرو، طهران ـ إيران، ط٣، ١٤١٣هـ.
٢٧ـ مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، دار الرشيد، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٨ـ الملحمة الحسينية، مرتضى مطهّري، الدار الإسلامية.
٢٩ـ المنبر الحسيني نشوؤه حاضره آفاق المستقبل، فيصل الخالدي الكاظمي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
٣٠ـ المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران.
٣١ـ نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٣٢ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن أحمد السمهودي، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

المجلات

٣٣ـ بايدها ونبايدها خطابه (٢) (ما ينبغي وما لا ينبغي في الخطابة)، مهدي بيشوايي، مجلة مبلّغان، ١٣٨٦ش.
٣٤ـ عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة (تعدّد الأهداف الوسائل)، محمد اسفنديارى، ترجمة: محمد عبد الرزاق، مجلة نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٣٥ـ فقه الإعلام (المنبر الحسيني نموذجاً)، السيّد محمود المقدّس الغريفي، مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسّسة وارث الأنبياء ـ العراق، ١٤٣٤هـ.
٣٦ـ منبر؛ نقش ارتباطات وعوامل اجتماعي مؤثر در تبليغ جهره به جهره، أحمد حسين زاده، مجلة معرفة، ١٣٨٢ش.

المنبر الحسيني وأثره في نشر العقيدة الإسلامية

السيّد شهيد طالب الموسوي*

توطئة

من مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التعلّم، والتوجيه، والإرشاد، بالاعتماد على المناهج العلمية والأساليب التربوية الناجعة، التي تحقق القناعة الفردية، أو العامّة لدى أفراد المجتمع بما تطرحه وسائل الإعلام الدينية، من مواضيع على صعيد العلم والتربية، وتعدّ العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات الدينية التي يجب أن تأخذها هذه الوسائل بنظر الاعتبار وإن اختلفت في المنهجيات والخصائص؛ لأنّ العقيدة من الأُمور الذاتية التي تترجم إلى الواقع وتؤثر فيه، وقد تصدّى المنبر الحسيني ليؤدي دوره التبليغي على الصعيد العلمي والتربوي، وأعطى للعقيدة الإسلامية أولوية في خطاباته؛ لأنّه يحمل قيمة معنوية خاصّة نابعة من ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، الذي رفع شعار الإصلاح في هذه الأُمّة، وسنتناول في هذا البحث وسائل الدعوة للدين وأهميّة العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، مع بيان مساحة التبليغ العقدي للمنبر الحسيني، ونقد النمطية التي يخالها بعضٌ نوعاً من التقصير في منهجية المنبر الحسيني.

المنبر الداعوي أنواع ومنهجيات

حرص الإسلام ومنذُ نشأته وبداية دعوته على تكامل الفرد والمجتمع من

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

الناحية العقلية والروحية، وحاول إنقاذ المجتمع من عصر الجاهلية وإيصاله إلى عصر العلم والنور، وإلى منهج الحق الذي ينبغي أن يقود الحياة، فركّز الإسلام على مفردات كثيرة كانت لها أهميّة بالغة في تربية المجتمع وتربية الفرد، فهو وكما يتبيّن من خطاباته القرآنية أو النبوية، كان يستهدف الفرد والمجتمع في آن واحد. ولم يترك الإسلام في حياة الفرد والمجتمع جانباً إلّا وقد أثراه بنظرياته وإرشاداته؛ لحرصه على التكامل من جهة، ووضع الإنسان على طريق هدفه وغايته التي وُجد من أجلها من جهة أُخرى، وأن يكون عنصراً نافعاً وفاعلاً في المجتمع، وأن يكون بناء المجتمع على أُسس الفضيلة والأخلاق والتعاون والقيم، التي تتكفل برفع الظلم والتعسّف والتفرقة، وترسّخ مبادئ الوحدة والتعاون والعطف والرحمة؛ ولأجل ذلك نهج الإسلام ـ لتبليغ مبادئه وقوانينه ـ طرقاً وأساليب متعددة كوسائل إعلامية ناطقة بالعقيدة الدينية وبيان معالم الدين وأحكامه، وكلّ ما يتعلّق بالفرد والمجتمع.

وهذا التنوع في وسائل التبليغ ومجالس العلم، إنّما جاء لأسباب عدّة، منها:

١ـ إنّ التنوع في طبيعته أقرب إلى القبول، فالطبع الإنساني يميل إلى التغيير وينفر من التكرار النمطي، فنفس السليقة والأسلوب قد تُصيب الفرد بحالة من الملل، الذي بدوره يسبب حالة النفور وعدم الاهتمام، فيؤدي إلى عدم تحقق الغرض من الإرشاد والتوجيه.

٢ـ تفاوت المستوى المعرفي والنفسي لدى أفراد المجتمع، فمن المناسب أن يكون هناك تعدد واختلاف في وسائل التبليغ، التي تختلف منهجياتها وطبيعة تعاطيها مع الموضوعات؛ لتغطي أكبر مساحة ممكنة من الأفهام المتنوعة والمتفاوتة لدى الأفراد.

٣ـ حدوث بعض الظروف الطارئة التي تتعلّق بالإنسان، كالظروف الصحية من مرض، أو إعاقة، أو فقر، والتي معها يكون الفرد غير قادر على السفر لطلب العلم، أو حضور المجالس التي لا تلائم وضعه الخاصّ، ممّا يسبب له الحرمان من الانتفاع ببعض أساليب التبليغ، فلا بدّ من إيجاد أساليب أُخرى من وسائل التعليم

والتبليغ، تتكفّل بتوفير المعلومة الملائمة، والتوجيه المناسب لهذه الصنوف وغيرها، وهذا التنوع يحقق الهدف الذي يسعى إليه الإسلام في تبليغ دعوته لمختلف صنوف المجتمع.

وحرص الإسلام على أن يضع لكلّ تكليف أحكامه الخاصّة؛ ليتلاءم ووضع الإنسان الصحي أو النفسي، فعلى سبيل المثال لا الحصر: إنّ صلاة الجمعة تتضمّن خطبتين في أولها، وهي منبر الإسلام التبليغي المعروف، لكن الإسلام رفع وجوب الحضور على المسافر؛ لأنّ المسافر ينتمي إلى بلد آخر له متطلباته وظروفه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية الخاصّة، والخطيب يتعرّض لهذه المسائل، ويحاول وضع الحلول المناسبة لها بما يتلاءم ومتطلبات المجتمع الحاضر، وهذا المسافر ـ بطبيعة الحال ـ لا ينتمي إلى هذا المجتمع، وليس له تأثير مباشر على الوضع الاجتماعي، أو الاقتصادي. ولا شك في أنّ هناك أسباباً أُخرى.

ولهذا كان التنوع والتعدد في وسائل التبليغ ناشئاً من غايات وأهداف موضوعية، تصبّ في تحقيق الغرض من التبليغ، بالقدر الذي يتكفّل بإيصال المعلومة إلى مستحقيها.

ويُعتبر المنبر الخطابي مع تعدّد مصاديقه في الإسلام، من أهمّ وسائل الدعوة والتبليغ والإرشاد، وربما يُعزى ذلك إلى أسباب تارةً تكون فطرية وطبعية، وأُخرى اجتماعية وعرفية، ومنها:

١ـ إنّ الخطابة تعتمد على التبليغ الشفوي للأحكام والعقائد والتعاليم، والكلام يعدّ من أهمّ وسائل الإفهام بحسب طبيعة البشر الفسلجية والفطرية، فالوجدان شاهد على أنّ الحوارات والألفاظ هي أهمّ الوسائل في إيصال المعنى إلى السامع بين أفراد النوع الإنساني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1].

(١) الأحزاب: آية ٧٠.

٢ـ جرت العادة عرفياً واجتماعياً، سواء في المجتمع العربي بشكل خاصّ أو الإنساني بشكل عام، على أنّ أصحاب القضايا المهمّة، الذين لهم الدور المؤثر في المجتمع، يلجأون إلى مخاطبة الناس بعد أن يحتشدوا في مكان معين، سواء كان هذا الحشد لأجل التبليغ أم لمناسبة أُخرى، فلو تقصّينا حالة المجتمع العربي قبل الإسلام، فإنّنا سنجد عدداً كبيراً من المبلّغين كانوا ينتهزون فرص اجتماع الناس في مناسبة معينة؛ ليقوموا بتبليغ آرائهم وأفكارهم وعلى سبيل المثال قس بن ساعدة وخطاباته في سوق عكاظ، «**لمّا قدِم وفد أياد على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات. قال: كأنّي أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلّم بكلام له حلاوة، ما أجدني أحفظه. فقال رجل من القوم: أنا أحفظه، سمعته يقول: أيّها الناس، احفظوا وعوا مَن عاش مات، ومَن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر، ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر وآثام، ومطعم وملبس، ومشرب ومركب، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أ رضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا، وإله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لـمَن أدركه واتّبعه، وويل لـمَن خالفه...**»[1].

ولو تتبعنا سيرته صلى الله عليه وآله منذُ بداية الدعوة الإسلامية وحتى آخرها، لوجدنا أنّه في بداية دعوته لعشيرته الأقربين قام خطيباً فيهم يدعوهم إلى الإسلام، قائلاً: «**إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلّا هو، إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة...**»[2].

أمّا بالنسبة لمجالس العلم ومنابر العلماء، فقد أكّد الإسلام على طلب العلم في مناسبات كثيرة، سواء ما تضمنته آيات الذكر الحكيم أم السيرة النبوية، وقد أكّد

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٢، ص٢٩٩.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٦١.

القرآن الكريم على السؤال وطلب العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وعَظّم منزلة العلماء والمتعلّمين، وأنّ لهم المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى؛ لأنّهم حملة العلم، الذي يُمثّل أرفع الأشياء وأعظمها قيمةً ومنزلةً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

أمّا من جهة السنّة والسيرة النبوية، فلا تمرّ مناسبة إلّا كان العلم حاضراً في طيّات كلام الرسول صلى الله عليه وآله، بل لا نبالغ لو قلنا: إنّ كلامه وسيرته وقوله وفعله هو العلم؛ لأنّه هو المعلِّم الأول، وهو القائل صلى الله عليه وآله: «**إنّما بُعثت معلِّماً**...»[3].

ولمجالس العلم الدور الأكبر في تثبيت دعائم الإسلام وبيان تعاليمه وأحكامه وعقائده، بل هي الأساس الذي تعتمد عليه سائر وسائل التبليغ، فمع اختلافها في المنهج والأسلوب إلّا أنّ العمدة في جميعها على العلم والاستدلال، الذي يتحقق في مجالس العلم ويأتي الدور للخطابيات في تأكيد هذه التعاليم، وحثّ الناس على اتّباعها، وممارسة الوعظ والإرشاد؛ للحث على الالتزام بتعاليم الإسلام ومبادئه وقوانينه.

ولذا؛ فمن الأكيد أن تختلف وسائل الإعلام والتبليغ في طبيعة تعاطيها مع الموضوعات من جهة، والغرض الذي تنعقد لأجله من جهة أُخرى، فنجد ـ مثلاً ـ في مجالس العلماء المجتهدين عند التعرّض لموضوع الزكاة في الإسلام، يتناولون هذه المفردة بأدلتها الدالة على وجوبها من الكتاب والسنّة وباقي مصادر التشريع، ثمّ بيان متعلّقها كالنقدين والغلات الأربع وغيرها، وبيان حدّ النصاب فيها، ثمّ بيان مستحقيها، وكلّ ذلك اعتماداً على الأدلة النقلية أو العقلية.

أمّا المنبر الخطابي، فإنّه في حلٍّ من ذلك بالجملة، ويكفيه بعد ثبوت ذلك في

(١) النحل: آية ٤٣.

(٢) الزمر: آية٩.

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ج٥، ص١١٨.

محلّه أن يتعرّض لأحد الأدلة، ولكن ليس لبيان وجوبها تفصيلاً، بل إجمالاً، ويعمد إلى حثّ الناس على تأدية هذا الحق إلى مستحقيه، وبيان أثره الاقتصادي الدنيوي وكذلك أثره الأُخروي.

ويعدّ المنبر الحسيني أحد مصاديق المنبر الخطابي، ولسنا هنا في مقام الشرعنة أو التأسيس الفقهي للمنبر الحسيني بعد ثبوت أنّ الخطابات الدينية لها ظروف متنوعة، فتارةً تكون متضمّنة لبعض العبادات، كصلاة الجمعة والعيدين، وأُخرى ـ وهو الغالب ـ تخرج عن هذا القيد، فالدعوة إلى الله وإلى تعاليم الدين الحنيف، والوعظ والإرشاد، وحمل الناس على الأخلاق الفاضلة والمبادئ النبيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صالحة لكلّ زمان ومكان.

ويبقى التساؤل حول المساحة التي للخطيب أن يخوض فيها في مقام التعرّض للقضايا العقدية والعلمية، وهذا ما سنفصّل الكلام فيه. وبالجملة فإنّ تعدد الوسائل الإعلامية والمنابر الداعوية في الإسلام يترتب عليه اختلاف المناهج وطبيعة تناول الموضوعات الدينية، والمنبر الحسيني من المنابر الخطابية التي تعتمد منهج الخطابة كأُسلوب علمي في طرح القضايا الدينية التي تختلف عن مجالس العلم، أو المنبر العلمي ـ لو صحّ التعبير ـ لاختلاف الأغراض في كلّ منهما.

إنّ طبيعة العلاقة الوثيقة بين المنبر الحسيني وبين قضية الإمام الحسين عليه السلام، وضعته أمام مسؤولية عظيمة؛ لأنّ الانتماء إلى هذه القضية كمنهج وشعار يُحتم عليه أن يتبنى أهدافها، ويسعى لتحقيقها، وهي أهداف الإمام الحسين عليه السلام في إصلاح هذه الأُمّة.

أهميّة العقيدة في الدين الإسلامي

تحتلّ العقيدة في حياة الفرد المسلم أهميّة بالغة؛ لما لها من دور في تحقيق السعادة الدنيوية والأُخروية، والعقيدة الإسلامية الحقّة تعمل على توجيه سلوك الفرد المسلم

نحو الاستقامة والسير على الطريق المستقيم، الذي أراده الله تعالى لعباده، وبيّنه في شرائعه المرسلة عن طريق أنبيائه ورسله، وهي تعمل على ترسيخ القيم والمبادئ في نفس العبد، التي ستنعكس بصورة تلقائية على تصرفاته وأخلاقه وعلاقاته، سواء التي تربطه بربه تعالى أم التي تربطه بالمجتمع بشكل عام، بل وسائر المخلوقات كذلك. فكلّ ذلك إنّما هو ترجمة وواقع فعلي لذلك الجوهر المكنون في نفس العبد وذاته، الذي يُترجم عملياً من خلال سلوكه وأخلاقياته في حياته اليومية. فالعقيدة لها نحو من الارتكاز والذاتية في نفس الإنسان، الذي له ترجمة عملية على الواقع، وهي أبعد من كونها خواطر تجول في ذهن الإنسان، أو أقوال يلعق بها بين حين وآخر. وبناءً على الذاتية الرصينة بين نفس الإنسان وسلوكه حرص الإسلام على بناء الفرد ذاتياً من خلال العقيدة التي توافق فطرته.

والعقيدة لغة: مشتقة من مادة (عقد)، قال ابن فارس: «**(عقد) العين والقاف والدال، أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق... يقال: اعتقد فلانٌ عُقْدةً، أي: اتَّخذها. واعتقد مالاً وأخاً، أي: اقتناه. وعَقَد قلبَه على كذا، فلا يَنزِع عنه**»[1].

وقال الراغب الأصفهاني: «**عقد: العقد الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، ثمّ يُستعار ذلك للمعاني، نحو: عقد البيع، والعهد، وغيرهما، فيقال: عاقدته، وعقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه، قال: (عاقدت أيمانكم)، وقرئ (عقدت أيمانكم)، وقال: (بما عقدتم الإيمان)، وقرئ: (بما عقدتم الإيمان)، ومنه قيل: لفلان عقيدة، وقيل للقلادة: عقد**»[2].

أمّا العقيدة اصطلاحاً، فهي: «**الإيمان بالله تعالى، وبأنبيائه، وما أنزله عليهم، وبأوصيائهم، وباليوم الآخر، وتسمّى أُصول الدين**»[3]. فالعقيدة على هذا التعريف:

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٨٦.
(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٣٤١.
(٣) الفضلي، عبد الهادي، التربية الدينية: ص٢٥.

هي الإيمان بأُصول الدين على اختلاف الفرق الإسلامية فيها. والقرآن الكريم أكّد وبشكل واضح من خلال آياته على مفردة الإيمان من جهة موضوعه، ومن جهة الدعوة اليه، بل إنّ الدين الإسلامي وجميع الأديان السماوية، إنّما قامت على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والأنبياء، قال تعالى: ﴿... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ ...﴾[1]، وهذا هو جوهر العقيدة الدينية، وهو جوهر العقيدة الإسلامية كذلك.

ويظهر لنا من التعريف اللغوي للعقيدة أنّها من مكنونات النفس الإنسانية، وما عقد عليه القلب من مفاهيم حيث أصبحت من ذاتياتها ومن الصعب انتزاعها، والحاصل: إنّ الأُمور الذاتية الكامنة في النفس الإنسانية لها دورها في توجيه السلوك الخارجي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العقيدة تتكون من جزئين رئيسين ـ أي: إنّ لها معنىً مركباً ـ وهما: العلم والإيمان، فالعلم: هو إدراك المفاهيم الدينية الخاصة بالله تعالى، وبأنبيائه، وملائكته، وكتبه، ويوم القيامة، والجنّة والنار، وغير ذلك من موضوعات الدين من الناحية النظرية. ثمّ تأتي المرحلة الثانية، وهي عقد القلب على هذه المفاهيم والتصديق بها «**والإيمان: التّصديق، وهو الذي جزم به الزمخشري في الأساس، واتّفق عليه أهل العلم من اللّغويين وغيرهم**»[2].

أمّا لو قيل: إنّ المعرفة الإلهية غير ممكنة، ومعرفة مقامات الأنبياء كذلك، ولا يمكن لنا عقد القلب على ظاهرة غيبية لا يمكن تحصيل العلم بها.

قلنا: إنّ العلم أو المعرفة إمّا تفصيلية أو إجمالية، وكلاهما تصلح أن تكون موضوعاً للإيمان، أمّا الغيب المحض فيمتنع الإيمان به؛ لعدم بروزه ولو من جهة

(١) البقرة: آية١٧٧.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٨، ص٢٤.

آثاره. وبعض الروايات تُشير إلى هذا المعنى فـ«**عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر**عليه السلام **في قول الله** ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. **فقال: كان هذا قبل نوح**عليه السلام**، كانوا ضلّالاً، فبدا لله، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**»[1].

فعدم المعرفة يُصيِّر الإنسان ضالاً، سواء كانت هذه الضلالة عن قصد، بعد أن تتبيّن له معالم الإيمان على ألسن الأنبياء والمرسلين، أم كانت عن غير قصد، كما هو لسان الرواية المتقدّمة.

وبعبارة أُخرى: إنّ الإيمان بالله تعالى ممكن؛ لأنّ العلم به علم إجمالي وليس علماً تفصيلياً، فنحن نعلم بوجوده تعالى إجمالاً، أمّا طبيعة هذا الوجود وكيفيته فهي غائبة عنّا، لكن الإيمان يكفي من هذه الجهة، أو من جهة الجزم بوجود خالق لهذا الكون بما فيه من مصنوعات.

أمّا تأثير العقيدة على السلوك الإنساني، فيظهر من الآيات القرآنية أنّ العقيدة لها الدور الأساس في تهذيب السلوك الإنساني، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾[2]. فمنشأ هذا الموقف تجاه أعداء الله ورسوله، إنّما هو العقيدة الحقّة، والإيمان الصلب الراسخ في وجدانهم، الذي يستتبع عدم المودّة لـمَن حادّ الله ورسوله، ثمّ تقول الآية ذاتها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

يقول السيّد الطباطبائي «**ثمّ الروح ـ على ما يتبادر من معناها ـ هي مبدأ الحياة التي تترشح منها القدرة والشعور، فإبقاء قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ على ظاهره يُفيد أنّ للمؤمنين وراء الروح البشرية التي يشترك فيها المؤمن والكافر روحاً أُخرى، تفيض عليهم حياة أُخرى، وتصاحبها قدرة وشعور جديدان**»[3].

---

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص٤٥١.

(٢) المجادلة: آية٢٢.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص١٩٧.

وربما قيل: إنّ العبادات أو ظواهر الشريعة، هي التي تؤثر على بواطن الإنسان، وهي التي تهذّب سلوكه وليس العكس، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]. و«**التقوى: هي الإحساس بالمسؤولية، والتعهّد الذي يحكم وجود الإنسان، وذلك نتيجة لرسوخ إيمانه في قلبه، حيث يصدّه عن الفجور والذنب، ويدعوه إلى العمل الصالح والبر، ويغسل أعمال الإنسان من التلوثات، ويجعل فكره ونيته في خلوص من أيّة شائبة**»[2].

والجواب عن ذلك بعد مقدّمتين:

الأُولى: إنّ الإنسان ينقسم إلى ظاهر وباطن، أمّا الظاهر فله اعتبارات متعددة، منها: وجوده الفيزيائي من وزن وحجم وكتلة، كذلك مادته الكيميائية، وما يحتويه الجسد من عناصر كيميائية مختلفة، وأعضائه الحيوية، وباطن الإنسان هو مجموعة من الأمزجة والقابليات العلمية (العقلية)، والنفسية (الأخلاقية).

الثانية: إنّنا وإن كنّا نعدّ ظاهر الإنسان بمجموعه وحدة واحدة إلّا أنّه حقيقة متغايرة من حيث عناصره الكيميائية أو آثاره الخارجية، وهذا الأمر نفسه يسري إلى باطنه، فهو أيضاً متعدد بمعنى أنّنا قد نعدّ أشياء كثيرة من بواطن الإنسان، وهي مختلفة بطبيعة الحال كالعقل، والقلب، والنفس، والروح.

فإذا تمّت المقدّمتان السابقتان تبيّن أنّ العقيدة وإن كانت تُعدّ من بواطن الإنسان وذاتياته، كذلك الأخلاق هي من ذاتيات الإنسان وبواطنه أيضاً، وهما مختلفتان. فالتقوى صفة نفسانية أخلاقية، أمّا العقيدة، فهي علم وإيمان، بمعنى أنّ لها جنبة عقلية وقلبية. فالعقيدة هي المؤثر في سلوك الإنسان، وهذا السلوك هو الذي يؤثر في أخلاق الإنسان.

---

(١) البقرة: آية ١٨٣.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٦، ص٥٦٧.

فالصوم كسلوك نابع من عقيدة المؤمن بالله تعالى ووجوب طاعته، وهو بدوره - الصوم وسائر العبادات - له تأثيره على أخلاق الإنسان وطبائعه النفسية.

وللعقيدة في حياة الفرد والمجتمع أثر واضح وعلى صُعُد عدّة، ومنها:

١ـ على صعيد العقل والمعرفة

فمن أبرز المدارس التي تهتم بهذا الجانب، هما: مدرسة الفلاسفة، والعلوم التجريبية، وكلا الاتجاهين حاول أن يفسّر كثيراً من الظواهر ويستنتج الماورائيات، بالاعتماد على أدواته؛ لتكوين رؤية متكاملة حول الكون والله والوجود، في حين أنّ العقيدة التي تنبع من الرسالات السماوية كانت لها تفسيرات وحجج على ذلك، قطع المؤمنون بها شوطاً كبيراً، ووفرت على الإنسان المؤمن الكثير من الجهد والكد للوصول إلى المعرفة الحقّة واليقين الصادق، وشواهد التنزيل والسنّة ملأى بهذا الجانب، الذي رفد العقل الإنساني بالمعرفة والتفسيرات على تساؤلاته.

٢ـ على صعيد الروح

ولعلّه أهمّ الجوانب الذي أفلست منه سائر الاتجاهات، في حين كان الاتجاه الديني بواسطة العقائد قد أعطى للروح الإنسانية غذاءها، بل كان تركيز العقيدة الدينية والإسلامية على وجه الخصوص هو الجانب الروحي؛ لأنّها تمثّل نقطة ارتكاز الوجود الإنساني، وهي لها طبيعتها الخاصة التي خُلقت عليها، التي يُعبّر عنها بالفطرة، فجاءت العقيدة الإسلامية على طبق هذا الجوهر وفطرته؛ لتسير به إلى غايته وهدفه الذي يلائم وجوده الملكوتي، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

(١) الإسراء: آية ٨٥.

٣ـ على الصعيد الاجتماعي

وللعقيدة أثر واضح في الجانب الاجتماعي؛ لكونها تعمل على بناء الفرد عقلياً وروحياً، وتُحيي فيه الضمير الإنساني، الذي ينعكس على سلوكه وتصرفاته وطبيعة علاقاته الاجتماعية، فالفرد كجزء لا يتجزأ من المجتمع ينتج حالة من التوافق الفكري والأخلاقي والروحي، فتتسامى معاني الإنسانية في ذلك المجتمع، ويكون مجتمع بنّاء، وهذا ما نفتقده بشكل واضح في أغلب المجتمعات الإسلامية؛ والسبب يعود إلى أنّ العقيدة الإسلامية لا تعدو كونها حبراً على ورق أو أصواتاً تصكّ سمعنا ليلاً ونهاراً، دون أن نرى لهذه العقيدة أثراً واضحاً في السلوك والمعاملة، وليس لها أيّ رسوخ في نفس الفرد ووجدانه، ولم تتملك جوانحه وجوارحه، وهذا عين ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه المجتمع آنذاك؛ حيث قال: «**إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديانون**»(١).

وقد صدحت آيات الذكر الحكيم بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والإيمان بالأنبياء والرسل والتصديق برسالاتهم واتّباعهم، وهذا التركيز إنّما يأتي لبيان أهميّة العقيدة، وكونها محور الوجود الإنساني ومنشأ سائر القضايا الدينية، كالعبادات، والمعاملات، والأخلاق وغير ذلك، قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾(٢).

وعلى هذا فإنّ الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتنشئة المجتمع والأفراد عليها بشقيها (العلم بها، والحثّ على الإيمان، وعقد القلب عليها) يُعتبر من أهمّ أولويات

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص٢٤٥.
(٢) النمل: آية١ـ٣.

الخطاب الديني، جرياً على ما جرت عليه آيات الذكر الحكيم والسنّة النبوية، وبحكم العقل كذلك، باعتبار أنّها منشأ كلّ الخيرات، فإن كان الحال هكذا، فاللازم أن تكون للعقيدة الإسلامية المساحة الأكبر فيما يتناوله الخطاب الديني بصورة عامّة والمنبر الحسيني بوجه خاصّ.

المنهج الإسلامي في الدعوة للعقيدة والتشريع

اعتمد القرآن الكريم والسيرة النبوية في التبليغ والدعوة إلى العقيدة والدين على منهجيات مختلفة، مراعياً بذلك نقاطاً متعددة ورد ذكرها فيما تقدّم، أمّا الآليات التي اعتمدها فيمكن ملاحظتها وبيان طبيعتها من خلال بيان المهم منها. فكلّ دعوة تحاول تبليغ رسالتها تنتهج أساليب مختلفة تلائم الذوقيات المتعددة والاستعدادات والقابليات المختلفة، وهذه الأساليب تنقسم على أقسام متعددة منها:

١ـ المطبوعات أو المقروءات: أي القراءة من الكتب المطبوعة بشكل مباشر عن طريق الفرد نفسه أو غير مباشر كقراءة القرآن الكريم على أيدي المشايخ القرّاء، فتارةً يتولى الشيخ القراءة بنفسه على الطالب، وأُخرى يتولى الطالب القراءة والشيخ يسمع له ويصحح أخطاءه وقد جرت هذه السيرة حتى على سائر كتب الحديث وغيرها، وتعتبر القراءة أو السماع عليه في النوع الثاني من أقسام الإذن بالرواية، وأحد طرق نقل الحديث.

وهذه الطريقة تعتمد أولاً على القراءة، ويأتي في المرتبة الثانية التدبر والتفكر في معاني ما يقرأ. أمّا في القراءة فقد حثّ القرآن الكريم على القراءة في آياته أيضاً، قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[1].

وقال تعالى في حثّه على التدبر في آيات القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ

(١) المزمل: آية ٢٠.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]. وحثّت السنّة النبوية الشريفة وروايات العترة الطاهرة على القراءة والتدبر «**اقرؤوا القرآن فإنّ الله تعالى لا يعذِّب قلباً وعى القرآن**»[2]، وممّا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**أَلا أُخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟ مَن لم يؤيس الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله تعالى، أَلا لا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في فقه لا ورع فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها...**»[3].

وهذه الشواهد تبيّن أهميّة القراءة الواعية للقرآن الحكيم، التي يلازمها التدبر والتفكر في آياته التي تضمنت مفاهيم الدين والعقيدة الإسلامية، ودعت إليها وأقامت عليها الحجج والبراهين؛ لأنّ من أُصول كلّ دعوة أن تكون مدعومة بالبراهين والحجج البالغة، حتى تكون قابلة للإيمان بها والتسليم لها. وتستمر هذه العلاقة بين القرآن والعقيدة ولا تنقطع عند المؤمن مهما علت درجة إيمانه؛ لأنّ الإيمان بمنزلة الشجرة التي تحتاج إلى الرعاية، والقرآن الكريم يعتبر بمنزلة المعين الصافي الذي يغذّي شجرة الإيمان بشكل مستمر، حتى تزهر ثمارها، وتؤتي أُكلها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لقاح الإيمان تلاوة القرآن**»[4].

٢ـ الخطابيات: حثّت الشريعة الإسلامية على القراءة والتفكّر والتدبر، وحرصت على خلق أجواء عبادية عامّة، تجمع المسلمين في مناسبات خاصّة، منها: السنوية، كالعيدين، في موسم الحج، وبعد نهاية شهر رمضان، ومنها: أُسبوعية، كصلاة الجمعة، وتضمّنت هذه المواسم العبادية الخطب التي يؤديها أئمّة الصلاة، وبالجملة يتناول الخطباء في خطبهم أهمّ الموضوعات الدينية لتوجيه الناس إليها والحثّ على التمسّك بها وترجمتها عملياً في الواقع الحياتي، إضافة إلى معالجة القضايا

(١) محمد: آية ٢٤.
(٢) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١، ص٥١٢.
(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث: ج٤، ص١١٨ـ١١٩.
(٤) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٢٢.

السياسية التي تخصّ المجتمع. وتعتبر العقيدة الإسلامية من أهمّ الموضوعات التي تتناولها هذه الخطب. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ...﴾[1]، فالبيع وإن كانت له مصالح اقتصادية تنفع المجتمع المسلم، إلّا أنّ الله تعالى قد فرض في هذا الوقت تركه والسعي لهذه الفريضة، وذكر الله الذي تتضمنه الخطبة؛ لأنّه تعالى أعلم بمصالح العباد؛ ولذا قال تعالى في ذيل الآية ذاتها: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: إنّ ذكر الله تعالى خير من البيع في هذا الوقت، وهي دلالة أُخرى على أهميّة العقيدة وكونها من المصالح العليا للمجتمع والأفراد.

أمّا بشكل عام، فإنّ التبليغ الرسالي سواء على مستوى العقيدة أم سائر القضايا الدينية من أحكام وغيرها، قد جرى على لسان المصطفىﷺ خلال حياته مع الصحابة، كما كانﷺ في بعض القضايا وخاصة قضايا العقيدة الإسلامية، يلجأ إلى الأسلوب الخطابي، ويسوق المقدّمات لعرضها بالشكل الذي يؤكّد من خلاله أهميتها. ولنا في خطبة حجة الوداع خير شاهد، عندما صدحﷺ بأمر الله تعالى في بيان طبيعة أمر الأُمّة الإسلامية من بعده، بعد أن فرض ولاية أمير المؤمنين، وشهد له بالبيعة سائر المسلمين، تلك الحادثة التي تناقلتها المصادر الإسلامية بمختلف أصنافها وبلغت حداً لا يمكن معه إنكارها حتى من المعاند.

وهي دالة على أهميّة الجانب العقدي الذي دفع النبيﷺ إلى أن يختار هذه المناسبة وذلك الموقف؛ لتبليغ أصلٍ مهمٍّ من أُصول الدين، وهو الإمامة والولاية، قالﷺ: **«ألستم تعلمون أنّي أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. فأخذ بيد علي، وقال: اللهمّ مَن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال مَن والاه وعاد مَن عاداه»**[2].

(١) الجمعة: آية٩.

(٢) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص٦٧.

٣ـ الشعر: ويأتي دور الشعر والشعراء في رفد الدعوة الإسلامية بوسيلة إعلامية أُخرى تضاف إلى الوسائل والمنابر الإعلامية، ويعتبر الشعر من ذوقيات العرب، الوطن الأول للدعوة الإسلامية، ولا شكّ في أنّ استئناس العرب بالشعر الذي ينسجم مع المزاج العام للفرد العربي، كان له دور هام في الدعوة الإسلامية بعد إضفاء صفة الشرعية من قِبل النبيﷺ في خصوص الشعر الذي يمثّل دعوة للقيم والمبادئ الإسلامية من عقائد أو أخلاق، فقد ورد أنّ حسان بن ثابت وفي غدير خم بعد البيعة لأمير المؤمنينعليه السلام أنشد قائلاً:

«يناديهم يوم الغدير نبيُّهم ... بخمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمَن مولاكم ونبيُّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيُّنا ... ولم تلقَ منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمَن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا»[1]

فقال له النبيﷺ: «**لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**»[2].

٤ـ مجالس العلم: وهي المجالس الخاصّة التي تُعقد إمّا للتعليم أو للفتيا، والسيرة النبوية حافلة بذلك؛ حيث كان الصحابة الأوائل يسألون النبيﷺ في مجلسه عن مختلف المسائل الدينية، وكان النبيﷺ يجيبهم بمقدار السؤال أو أكثر من ذلك بما يراه ملائماً للجالسين، والسيرة النبوية وكتب الحديث خير شاهد على أنّهﷺ معلِّم المسلمين الأول، ومعلِّم العلماء، وهو مدينة العلم كما قالﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمَن أراد المدينة فليأتها من بابها**»[3].

(١) الأميني، عبد الحسين بن أحمد، الغدير: ج٢، ص٣٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١٣، ص ١٤٨.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فانفتح من كلّ واحد منها ألف باب**»(١).

ثمّ تصدى أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان منبره العلمي والخطابي في الكوفة ناطقاً بالعلم والعمل، ودفع الشبهات، وتوجيه الناس للعقيدة والفضيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعده تصدى أهل البيت عليهم السلام لهذه المجالس؛ لأنّهم منبع العلم والحكمة، وخزّان الوحي، فكانت لهم مجالس للفتيا وتعليم الناس وتوجيههم. وحثّ أهل البيت عليهم السلام أتباعهم ممّن وصل إلى مستوى عالٍ من العلم، أن يجلس ويُفتي الناس وذلك كـ (أبان بن تغلب) فقد «**كانت له عندهم خطوة وقدم. وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس، فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أتاه نعيه: أَما والله، لقد أوجع قلبي موت أبان**»(٢).

٥ـ المناظرات: والمناظرة لفظ استُعمل للدلالة على صناعة الجدل (طوبيقا)، وتعدّ من وسائل إثبات الدعوى أمام الخصوم، مع ما لها من آثار على الجمهور عند الغلبة وانهزام الخصم، وقد تكون نافعة عندما يكون الخصم متحرياً للحقيقة وطالباً لها، وقد حدثت في زمن أهل البيت عليهم السلام مناظرات كثيرة، كانت لهم الغلبة فيها، وهي بالتالي قد عزّزت بهذا الانتصار حقانية الدعوة الإسلامية من جهة، وبيان أحقيّة أهل البيت عليهم السلام في التصدي لولاية المسلمين دون سواهم؛ لأنّهم الأعلم بأُمور الدين فضلاً عن الدنيا من جهة أُخرى. وكان للإمام الصادق عليه السلام مناظرات عدّة، منها: ما كان بينه وبين الديصاني، وابن أبي العوجاء، وغيرهما، كذلك ما دار بين الإمام الرضا عليه السلام والعلماء من الديانات الأُخرى في مجلس المأمون؛ إذ «**قال** عليه السلام: **يا نصراني**

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج١، ص٢٢٢.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٥٧.

والله، إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمدﷺ، وما ننقم على عيساكم شيئاً إلّا ضعفه وقلّة صيامه وصلاته. قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك، وما كنت ظننت إلّا أنّك أعلم أهل الإسلام، قال الرضاعليه السلام: وكيف ذلك؟! قال الجاثليق: من قولك: إنّ عيساكم كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قطُّ، ولا نام بليل قطُّ، وما زال صائم الدهر، قائم الليل. قال الرضاعليه السلام: فلمَن كان يصوم ويُصلي؟! قال: فخرس الجاثليق وانقطع»[1].

الخطابة واقتضاء الفطرة الإنسانية للتوجيه والإرشاد

الخطابة لغة: هي الكلام بنحو خاصّ «وخطب الخاطبُ على المنبر خطابَةً، بالفتح، وخُطْبَةً، بالضم، وذلك الكلام خُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجل خطيبٌ حسن الخُطْبَة»[2].

أمّا اصطلاحاً، فقد عُرّفت بتعاريف شتى، منها: «فنّ مشافهة الجمهور، وإقناعه واستمالته. فلا بدّ من مشافهة، وإلّا كانت كتابةً أو شعراً مدوّناً، ولا بدّ من جمهور يستمع، وإلّا كان الكلام حديثاً أو وصية، ولا بدّ من الإقناع، وذلك بأن يوضّح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيّده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده، ثمّ لا بدّ من الاستمالة، والمراد بها أن يُهيّج الخطيب نفوس سامعيه أو يُهدئها، ويقبضَ على زمام عواطفهم، يتصرّف بها كيف شاء، سارّاً أو مُحزناً، مُضحكاً أو مُبكياً، داعياً إلى الثورة أو إلى السكينة. وإذاً فأُسس الخَطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة»[3].

وكان لليونانيين الدور البارز على مستوى التنظير والتأسيس للخطابة، وجعلوا الهدف من الخطابة هو إقناع الناس وإدهاشهم كما ورد في تعريفها عند أرسطو «قوّة

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص٤٢١ـ ٤٢٢.
(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص١٠٤.
(٣) الحوفي، أحمد، فن الخطابة: ص٥.

تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأُمور المفرَدة»[1].

ويظهر أنّ الخطابة تعتمد على الكلام؛ لأنّها عبارة عن مشافهة غرضها الإقناع وحمل الجمهور على التصديق، وللخطابة خصائص ومميزات تستقل بها عن باقي الصناعات، كالبرهان، والجدل (المناظرة) وغيرهما، وقد بينته كتب المنطق والفلسفة، ويبقى السؤال عن الحاجة إلى الخطابة، وما هو منشأ هذه الحاجة؟

أمّا الجواب عن الحاجة إلى الخطابة، فهو كونها وسيلة ناجحة لإقناع الجمهور وتصديقهم، ثمّ إنّ المجتمع ينقسم على قسمين: (الخاصّ، والعامّ)، ونعني بالخاص: الطبقة المثقفة من العلماء والمفكّرين، وهذه الطبقة بحاجة إلى القياس الذي يشتمل على المقدّمات البرهانية؛ لإثبات أيّ قضية مطلوبة وهي ـ هذه الطبقة ـ لا تحتاج عادة إلى ما يلازم الخطابة من عناصر التأثير، ولكن هذا لا يشمل عموم هذه الطبقة، «**بل أكثر الخاصّة المثقفين ـ وإن ظنّوا في أنفسهم المعرفة وحرية الرأي ـ ينجذبون إلى الطرق المقنعة المؤثرة على العواطف وينخدعون بها، بل لا يستغنون عنها في كثير من آرائهم واعتقاداتهم، بالرغم على قناعتهم بمعرفتهم وثقافتهم التي قد يتخيلون أنّهم بلغوا بها الغاية**»[2]. وبما أنّ السواد الأعظم من الجمهور هو من طبقة العامّة، أصبح من الضروري وجود فن إقناع، ووسيلة تبليغ تلائم هذه الطبقة.

أمّا منشأ هذه الحاجة، فهل هو ضروري أم فطري؟ والأصوب أنّه فطري نابع من حاجة الإنسان الفطرية إلى الإرشاد والتوجيه، كحاجته الفطرية إلى العلم والتعلّم وغير ذلك من الاندفاعات والاستعدادات التي تُولد مع الإنسان، ويعمل على تغذيتها من خلال محيطه الخارجي. والإنسان بطبعه يميل إلى التعلّم والمعرفة، مع أنّه وُجد خالي الوفاض، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ

(١) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص٩.

(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٣.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ...﴾[1]. فالدافع الحقيقي إلى العلم والتعلّم هو الفطرة، بمعنى أنّ لديه الاستعداد والقابلية للتعلّم ومنشأه فطري وغريزي.

وللفطرة تفسيرات عدّة وردت في الأثر، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...﴾[2] وقد أورد الطبري في تفسيره أقوال عدّة، فمنهم مَن قال: إنّها العهد الذي أخذه الله على بني آدم، ومنهم مَن قال: إنّها الإسلام، ومنهم مَن قال: إنّ الفطرة هي الإسلام منذُ خلق آدم عليه السلام، «**قال ابن زيد في قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: الإسلام مُذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ بعد**»[3].

ولا تعارض في الأقوال التي ذكرها الطبري لو قلنا: إنّ الإسلام دين الله تعالى منذُ أن خُلق الإنسان، أي: منذُ خلق آدم. والأنبياء جرى على لسانهم هذا المعنى، قال تعالى حاكياً عن لسان يوسف عليه السلام: ﴿...أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[4]. بمعنى أنّ الشرائع السماوية وإن اختلفت بأحكامها إلّا أنّ الدين عند الله تعالى هو الإسلام، والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى و«**أنّنا نؤمن بدليل كافٍ للاطمئنان بعضه ظاهري وبعضه باطني، أنّ الأنبياء السابقين كانوا مسلمين، بل كانوا مسؤولين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ إذ لا نجاة لأيّ بشر من آدم إلى يوم القيامة إلّا بولايتهم، وأَوْلى مَن يلتزم بولايتهم هم المعصومون السابقون على الإسلام، الذين هم الأنبياء والرسل**»[5].

---

(١) النحل: آية٧٨.

(٢) الروم: آية٣٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان: ج٢١، ص٤٨.

(٤) يوسف: آية١٠١.

(٥) الصدر، محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام: ص٣٢.

أمّا كون الفطرة هي الإسلام، أو التوحيد، أو الدين، باعتبار أنّها السنن والقوانين التي يجب أن يلتزم بها الإنسان؛ ليصل إلى سعادته وتحقيق غاية وجوده في الدنيا والآخرة، وأنّ أيّ انحراف عن هذه القيم إنّما هو مخالف لفطرته وخلقته، وسيُسبب ذلك خسرانه بكلّ تأكيد «**وقوله:** ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ **الفطرة بناء نوع من الفطر، بمعنى الإيجاد والإبداع، و(فطرة الله) منصوب على الإغراء، أي: الزم الفطرة، ففيه إشارة إلى أنّ هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي يهتف به الخلقة، ويهدى إليه الفطرة الإلهية، التي لا تبديل لها؛ وذلك أنّه ليس الدين إلّا سنّة الحياة، والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها، حتى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتبعها إلّا السعادة، وقد هدى كلّ نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته التي هي بُغية حياته بفطرته ونوع خلقته، وجهّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز**»[1].

ومن مقتضيات الفطرة الإنسانية حاجتها إلى التوجيه والإرشاد، ووضع الفرد على الطريق الصحيح، ولو كانت الفطرة غير منفعلة بالعوامل الخارجية، لانتفى الغرض من بعثة الأنبياء والرسل، والذي يوضح دورهم في التبليغ والتبشير والإنذار؛ ولذا يعدّ التوجيه والإرشاد وتحفيز هذه النزعة الفطرية عند الإنسان للتوحيد والدين، ثمّ الطاعة والامتثال من ضروريات استدامة السير على طريق الحق تعالى، أمّا أن يُترك الإنسان دون أن يكون له مربٍّ وموجّهٍ ومعلّمٍ فإنّه سيقع فريسة لتيارات الانحراف، والشرك، والعقائد الفاسدة؛ ولذا نرى أنّ القرآن الكريم كان له منهجه الخاص في إثارة دفائن الفطرة الإنسانية، وتوجيهها بالطرق التي تنسجم معها، وهذا الاستعداد بحاجة إلى تفعيل طاقاته الكامنة في النفس الإنسانية، ودور العلم والتعلّم، وكذلك دور التربية يأتي لتغذية هذا الاستعداد وهذه القابلية، فيكون الفرد على المسار الصحيح الذي يلائم طبيعته الإنسانية، وأمّا إذا ابتعد عن ذلك،

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص١٧٨.

واكتسب ما لا يلائم هذه الطبيعة والفطرة، فإنّه بذلك يخرج عن طوره الإنساني، ويفتقد لبعده المعنوي، ويكون آلة بيد الانحراف الأخلاقي أو السلوكي.

ودعوة القرآن إلى الاستماع ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ...﴾[1] ـ تبيّن حاجة الإنسان إلى التوجيه والإرشاد، واتّباع الأحسن والأفضل، والذي يكون نافعاً وموجهاً للإنسان إلى الهداية.

والتفت اليونانيون إلى هذه الحاجة الفطرية، وعمدوا إلى التنظير في مجال الخطابة؛ كونها تعتمد على عنصر التأثير والإقناع، وكون «**الجمهور لا يخضع للبرهان ولا يقنع به، كما لا يخضع للطرق الجدلية؛ لأنّ الجمهور تتحكم به العاطفة أكثر من التعقل والتبصر**»[2]، ولعلّ الحاجة للخطابة بدت ضرورية أكثر بعد أن بدأ الجمهور يأخذ دوره في التأثير على القرارات العامّة في المجتمع، على أنّنا لا نرى هذا الدور واضحاً في القِدم، فبعض الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام كانت دعوتهم مركّزة على أصحاب القرار، كالنمرود في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، وفرعون في زمن موسى عليه السلام، كما هو واضح لـمَن تتبع قصصهم في القرآن الكريم، أمّا بعد أن تمتع الجمهور بشيء من الحرية وإن كانت نسبية، ظهرت الحاجة لسلوك جديد هدفه التأثير على الجماهير، «**فيحتاج مَن يُريد التأثير على الجماهير أن يسلك مسلكاً آخر غير مسلك البرهان والجدل المتقدّمين؛ فإنّ الذي يبدو أنّ الطرق العقلية عاجزة عن التأثير على عقائد الناس وتحويلها**»[3]؛ ولذلك ظهر فن الخطابة.

لكن المقاصد قد تختلف في الإسلام أو في زمن الأنبياء، فالحثّ على العلم والتعلّم، والتربية والتوجيه، وتبليغ الرسالات السماوية، ليس غايته حمل المجتمع على قضية لصالح جهة معينة، بل يستهدف الإسلام وجميع الرسالات السماوية أولاً

(١) الزمر: آية ١٨.
(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٢.
(٣) المصدر السابق: ص٤٢٢ ـ ٤٢٣.

وبالذات الفرد نفسه والمجتمع؛ لأنّ وظيفتها تصحيح مساره ضمن الواقع الحقيقي الذي يحفظ له مصلحته، والذي يحمل الفرد على أن يتحلّى بالقيم الإنسانية والمبادئ النبيلة، بما يلائم وعي الجماهير ومستواهم الفكري.

المنبر الحسيني بين صناعته الخطابية ونقد النمطية

تقدّم بيان التنوع في الأسلوب التبليغي والإرشادي في الإسلام، وتعدد الطرق والوسائل الإعلامية لإيصال الفكر الإسلامي إلى الفرد والمجتمع، وتبيّن أنّ ذلك التعدد هو لتغطية أكبر مساحة ممكنة؛ من أجل إيصال كلمة الحق والعدل للناس، وبيان التعاليم الإلهية الحقّة في مختلف مجالات الحياة، واعتمد التبليغ في الإسلام بشكل أساسي على المنهج الخطابي؛ لِما يتمتع به هذا الأسلوب من سهولة الوصول إلى وجدان الفرد وترسيخ القضايا الدينية في المجتمع؛ لتكون منهجاً حياتياً صالحاً لقيادة المجتمع، ولتحقيق صلاحه وصلاح الأفراد، ولهذا المنهج ـ الخطابي ـ أُصول وقواعد اعتمد عليها المنبر الحسيني في إعمال صناعته الخطابية، وفي تعرضه للقضايا العامّة والخاصّة التي تدخل في شؤون المجتمع والأفراد، وتعمل على معالجة مواضع الخلل في البنية الاجتماعية، سواء كان باعثها دينياً عقدياً أم أخلاقياً، أو غير ذلك.

ولما كانت العقيدة الدينية هي منشأ السلوك عند الأفراد؛ لِما لها من أهميّة في حياة الإنسان بشكل عام، وكونه مخلوقاً لله تعالى، فعليه أن يستمع إلى توجيهاته وتعاليمه التي جرت على لسان الأنبياء والرسل؛ لذلك أكّدت الشرائع السماوية بشكل واضح على العقيدة والإيمان، ثمّ العمل الصالح. وهذه الخطوط العامّة هي ما ينبغي على المنبر الخطابي الإسلامي عموماً، والمنبر الحسيني بشكل خاصّ، أن ينتهج مبادئها، وأن يعمل على بنائها وترسيخها في المجتمع المسلم.

وبما أنّ المنبر الحسيني على وجه الخصوص يعدّ من الوسائل الإعلامية أو التبليغية، التي تعتمد على فن الخطابة في تحقيق أغراضه المتقدّمة في طرح الموضوعات

الدينية، وإعمال الصناعة الخطابية في إقناع الجمهور بها، والتأثير عليهم إلّا أنّه قد يستقل في بعض خصوصياته؛ لأنّه ينتمي إلى عنوان خاص وهو القضية الحسينية، بل هو قائم على هذا الأساس، وأيّ دور تبليغي عقائدي أو إرشادي، إنّما هو محكوم بمقدار ما يفرضه عليه هذا الانتماء، والحق أنّ هذا الانتماء لا يغيّر في منهجيته ومقدار تناوله لمسائل الدين وحسب، بل يعدّ من العوامل الرئيسة التي تساعده على توسيع مهمته التبليغية، ولكنّه لا يخرج عن كونه وسيلة إقناع وتبليغ خطابية تختلف عن منابر العلم ومجالسه التي تتناول الموضوعات الدينية المحضة، والاستدلال عليها بالطرق التقليدية، ويمكن بيان وجه المقارنة بين المنبر الخطابي والعلمي من خلال النقاط الآتية:

١ـ تعدد الموضوعات التي يتعرّض لها المنبر الخطابي؛ لأنّ غرضه ليس إثبات ونفي قضية علمية محضة بالطرق البرهانية أو الجدلية، بل يكفيه تناول موضوع معين وبيان حقانيته أو بطلانه بشكل إجمالي، وبيان ما يتعلّق به وآثاره على الصعيد الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو النفسي... وبمعنى آخر: فإنّ الغالب على هذه الصناعة تعدد موضوعاتها، وعدم محدوديتها بعلم أو مسألة معينة، «**وأمّا الخطابة، فإنّ العامّة لا يهتدون إلى تمييز الموضوعات بعضها عن بعض، وتخصيص الكلام في موضوع مبني على مبادئ تليق به وحده، على ما توجبه الصناعة البرهانية**»[1]، أمّا المنبر العلمي فغير قادر على التنوع في طرح المسائل؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى نقض الغرض الذي أُقيم من أجله، فهو يتعرّض للمسائل العلمية التي تدخل في أحد حقول العلم والمعرفة وفي اختصاص محدد، ولا شكّ في أنّ مسائل كلّ علم مترابطة فيما بينها، وتحتاج إلى أن تُبحث بشكل متسلسل؛ حتى يستوعب الطالب جميع مسائل ذلك العلم، ويمكنه أن يتعرّف على دقائقه وتفرعاته.

(١) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق ـ فصل في عمود الخطابة وأجزائها والتفريق بينها وبين الجدل): ص٧.

٢ـ تعتمد الخطابة في مادتها على نوع خاص من القضايا، تتألف منها حجتها الإقناعية للوصول إلى النتيجة التي تُريد إقناع الجمهور وتصديقه بها، وأهمّ هذه القضايا هي المشهورات، والمظنونات، والمقبولات، «**واستعمال المشهورات في الخطابة باعتبار ما لها من التأثير على السامعين في الإقناع**»[1]، ولا شكّ في أنّ كلّ علم لديه مختلف أنواع القضايا التي تصلح كمادة في طرق الاستدلال على مسائله على أن تحدد في الخطابيات على ما كان مشهوراً ومقبولاً والتي تُفيد الظنّ المعتبر في إيجاد القناعة والتصديق عند الجمهور؛ ولذلك يعتمد المنبر الحسيني غالباً على العمومات، سواء ما ورد في القرآن الكريم أو السنّة النبوية المعتبرة؛ لأنّها قضايا تُفيد الاطمئنان، بل الوثوق أيضاً. أمّا مجالس العلم، فإنّ غايتها تحقيق نتائج يقينية وإقامة الدليل عليها، فغالباً ما تكون مادتها في القياس مؤلفة من القضايا اليقينية.

٣ـ من أهمّ ما يتميّز به المنبر الخطابي هو غايته التوجيهية والإرشادية والتربوية، وعليه فهو يتمتع بالشمولية والعموم، ولا يقتصر على محافل خاصّة أو فئة معينة من الناس، فالجميع أمام الوعظ والإرشاد على حدٍّ سواء كما لا يقتصر على طبقة خاصّة من المجتمع دون أُخرى.

أمّا مجالس العلم فتخلو غالباً من التوجيه والإرشاد، أو مراعاة الجانب النفسي والأخلاقي إلّا في حدود التحصيل العلمي وما يستتبع ذلك من بيان منزلة العلم والعلماء، وأهميّة العلم لِما له من دور في شحذ الهمم وتقوية العزيمة على التحصيل، ومراعاة الوقت والالتزام وغير ذلك، ممّا له مدخلية بشكل وآخر في طلب العلم.

٤ـ ينبغي في الخطابة مراعاة المستوى المعرفي لدى الجمهور، وهو من الأمور النسبية التي تختلف من مجتمع إلى آخر، فعلى الخطيب أن يراعي ذلك في عرضه لموضوع الخطبة والقضايا المتعلّقة به، كما ينبغي أن يراعي التكامل المعرفي وأن لا

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٣٤١.

يقتصر على نمطيات تقليدية وقديمة يصعب أن يتفاعل معها أغلب الجمهور، بعد ملاحظة أنّ هناك عوامل كثيرة تؤثر على الجمهور، وعلى مستواه المعرفي والنفسي، التي ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار، أمّا مجالس العلم، فهي مقيّدة بطرح مسائل العلم وإقامة الدليل عليها، ومناقشة الآراء، ولا ينبغي لغير المؤهّلين علمياً حضور هذه المجالس، وهو واضح على مستوى الجامعات، فكلّ طالب يصل إلى المرحلة المتقدّمة بعد أن يجتاز مرحلة الاختبار للمرحلة السابقة، فيكون مؤهّلاً للمرحلة اللاحقة.

٥ـ إضافة عناصر التأثير إلى الخطابة كإثارة العواطف وبعث الأحاسيس ورفع الهمم، وهذا المنهج نراه واضحاً وجلياً في القرآن الكريم من خلال تعرّضه لقصص الأنبياء، التي تعدّ عاملاً مهمّاً يضاف إلى خطاباته وتوجيهاته، قال تعالى: ﴿كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾[1].

ويُعتبر التعرّض إلى فاجعة الطفّ الأليمة من مقوّمات المنبر الحسيني، الذي يحقق هذه الإثارات العاطفية، التي تعتبر من العوامل المساعدة، أو الرئيسة للإقناع وبحسب طبيعة ومستوى وعي الجمهور، لكن ذلك ليس هو الغرض الرئيس من التعرّض لواقعة الطفّ ومأساتها في المنبر الحسيني، بل تُعدّ هذه الواقعة جوهره وهويته الحقيقية، ومنها يستمد شرعيته. وإنّما أخذ المنبر الحسيني دوره التبليغي بهذا القدر؛ لأنّ الحسين عليه السلام أحيا الدين ومعالمه، ورسم منهج الحياة الحرّة للمسلم، فكان حريٌّ بهذا المنبر الذي ينتمي للحسين عليه السلام أن يتصدى لهذه المهمّة ليؤدي دوره الرسالي.

أمّا مجالس العلم، فهي في حلّ من ذلك كلّه؛ لأنّ غايتها الوقوف على مسائل العلوم وموضوعاتها وما يتعلّق بها، والهدف منها هو العلم والتعلّم وليس الإقناع كما هو الحال في الخطابة.

(١) يوسف: آية١١.

فإذا تم ما تقدّم نقف الآن على قضية مهمّة، ألا وهي حالة النقد المستمر للخطابة الحسينية، وكونها ذات نمطية ثابتة، ولا تميل إلى التجديد في موضوعاتها. والجواب: إنّ الصناعة الخطابية لها أُصولها الخاصة بها، وهي تحقق غاياتها من خلال الالتزام بهذه الأُصول، لكن ذلك لا يمنع أن تتوسع الموضوعات بعد ثبوت عدم محدودية موضوع الخطابة، وأنّها في سعة من هذه الجهة، لكن التعرّض للموضوعات الحديثة والمعاصرة يجب أن يكون ضمن ذلك الإطار المرسوم للخطابة، وليس خارجاً عنه، وعلى سبيل المثال: مسألة الإلحاد التي تعدّ من الموضوعات الحديثة من حيث إثارتها في هذا الوقت، وتأثر الشباب بها في مجتمعاتنا، فهذا الموضوع يمكن للخطيب أن يتناوله بشكل جزئي ويستعرض الأدلة والبراهين على بطلانه، بالشكل الذي يتوافق وعدم خروجه عن غرضه؛ لأنّ التعرّض للموضوعات العلمية وإقامة الأدلة عليها تتكفل به مجالس خاصّة، وهي مجالس العلم التي تتناول العلوم الحقيقية المحضة لاستيفاء مطالبها، والحصول على حالة اليقين بها، أمّا الخطيب فعليه «**تجنب أن يكون بيانه منطقياً وعلمياً معقداً، فلا يميل إليه الجمهور، الذي من طبعه الميل إلى الصور الكلامية الواضحة السريعة الخفيفة**»[1]، ولهذا قسّم أهل المنطق الناس على قسمين خاصّ وعامّ «**ولمّا كان المخاطب إنساناً وكلّ إنسان إمّا خاصّي، وإمّا عامّي، والخاصّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق الخواص إلّا بالبرهان، والعامّي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق العوام إلّا بالخطابة، فالصناعتان النافعتان في أن يكتسب الناس تصديقاً نافعاً هما: البرهان، والخطابة**»[2].

المنبر الحسيني ومساحة التبليغ العقدي

واجه القرآن الكريم ـ ككتاب وحياني رسالي يعزّز قيمة الإنسان، ويزرع في نفسه العقيدة الصالحة والحقّة، ويستفز الإنسان نحو المبادئ والعمل الصالح ـ

(١) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٣٩.

(٢) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق ـ فصل في منفعة الخطابة): ص٢.

تيّاراً مضاداً من قِبل المشركين، الذين حاولوا حجب الأُمّة عن القرآن الكريم بشتى السبل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[1]، لكن القرآن أعجزهم بعباراته وفنّه ومنهجيته، وسدّ أمامهم كلّ الطرق التي حاولوا بها التأثير على الناس؛ من أجل منعهم من الاستماع إلى هذا الكلام، وبيّن للناس غاية وجودهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2]، وأنّ العبادة لله تعالى لها مقدّمات، وأهمّها العقيدة والإيمان بالله تعالى، ووضع لهم أُسوة حسنة متمثّلة بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله، الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وخلّف النبي صلى الله عليه وآله بعده كتاب الله وعترته أهل بيته، فكانوا عليهم السلام ترجمان الوحي والقرآن، والصورة الفعلية لجميع المفردات القرآنية السامية، وخاصّة الخمسة أصحاب الكساء؛ لأنّهم كانوا الأقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله، الذين شملتهم رعاية السماء، ورعاية النبي صلى الله عليه وآله بالتربية والتعليم، وترسيخ مبادئ القرآن الكريم والرسالة الإسلامية، فضلاً عن مقاماتهم العالية ومنزلتهم الذاتية، التي بينتها الآيات والروايات.

وجسّدت واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك المظلومية والمأساة في تاريخ الأُمّة الإسلامية أروع معاني التفاني؛ من أجل الدين والعقيدة، فهي رسالة عملية، ومنهج راسخ، صنعه الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ الأُمّة، ولا شكّ في أنّ ذلك إنّما كان بمشيئة الله وتخطيط النبي صلى الله عليه وآله، واشتراك أهل البيت عليهم السلام في هذا التخطيط، فقد روى ابن طاووس أنّ ابن الحنفية قال لأخية الحسين عليه السلام: «... **فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك**

(١) فصلت: آية٢٦.
(٢) الذاريات: آية٥٦.
(٣) القلم: آية٤.

هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»[1].

وكان للحثّ والتركيز على إحياء هذه الذكرى من قِبل أهل البيت عليهم السلام دور كبير في زيادة الوعي، و«**تثقيف جمهورهم بالثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية الخاصّة، وتعميقها فيهم، فإنّ إحياء تلك المناسبات وإن كان الهدف منه بالدرجة الأُولى هو عرض الجانب العاطفي، الذي يخصّ المناسبة التي يراد إحياؤها، وما يناسب ذلك إلّا أنّه كثيراً ما تكون منبراً للثقافة العامّة، والثقافة الدينية، والمذهبية خاصّة**»[2].

فالمائز الحقيقي للمنبر الحسيني عن سواه من سائر وسائل التبليغ والدعوة للعقيدة والدين، هو ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، فهو حاكٍ عن مبادئ الحسين عليه السلام، وناطق باسمه، وسائر على ما رسمه له، ويتبيّن هذا من خلال ما نراه من خطباء المنبر الحسيني، ووصفهم لأنفسهم بأنّهم خدمة الإمام الحسين عليه السلام، باعتبارهم يتبعون منهجه ويسيرون على خُطاه. أمّا غيره من الوسائل الإعلامية والتربوية الدينية، فهي خاضعة لتأثير مَن يتصدّون لها بانتماءاتهم المذهبية والفكرية.

ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق بين المنبر الحسيني وثورة الإمام الحسين عليه السلام، كان للقضايا العقدية الاهتمام البالغ في مجمل موضوعات المنبر الحسيني، ويمكن بيان أبعاد ذلك في النقاط الآتية:

١ـ إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام وحيثياتها مرتبطة ارتباطاً منقطع النظير بالعقيدة الدينية، في جميع أبعادها وأسبابها ونتائجها، بل هي قائمة على أساس ديني محض، فكانت العقيدة إحدى أهمّ مبادئ ثورته الخالدة. والمنبر الحسيني يمثّل صوت الحق على مرّ العصور والأزمان، الذي يعبّر عن هذه الثورة ويتبنى أهدافها.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٤٢٨ ـ ٤٢٩.

٢ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام بما له من مقام ومنزلة في الإسلام، يمثّل ركناً من أركان الدين، وبعبارة أُخرى: إنّ النبوة تُعدّ أصلاً من أُصول الدين والعقيدة، ولا يكفي الإيمان القلبي بها فحسب، بل لا بدّ من الإيمان بمصداقها المتحقق في الخارج، والوجدان شاهد على ذلك، فأغلب مَن كفر بنبوة الخاتم صلى الله عليه وآله ربما لا يجد حرجاً من الإيمان بالنبوة كفكرة عامّة، لكنّه يجحد بها فعلياً وعملياً بما لها من مصداق متحقق في الخارج، وهذا يتعدى إلى الإمامة أيضاً، فالإمام الحسين عليه السلام إمام منصوص عليه من قِبل النبي صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما**»[1]، فعلى ذلك كان الحسين عليه السلام بذاته يمثِّل ركناً مهمّاً في الدين والعقيدة، فالدعوة للحسين عليه السلام ولأفعاله وأقواله وتقريراته إنّما هي دعوة للدين.

٣ـ كون المنبر الحسيني أحد وسائل الدعوة والتبليغ الديني من جهة، واعتبار العقيدة الدينية محور الدين وقطب الرحى الذي تدور عليه مسائله، فقد أخذ دوره في بناء العقيدة الدينية والدعوة إليها وترسيخها في المجتمع المسلم، فضلاً عن كونه الأقرب إلى واقع الجماهير، والمستوفي لجميع الشروط التي تقدّمت من ناحية منهجيته الخطابية، وتوافره على عناصر الإثارة والتأثير العاطفي، وبذلك أصبح المنبر الحسيني اليوم فاعلاً ومؤثراً بشكل كبير إلى حدٍّ تغيّبت معه سائر وسائل التبليغ والدعوة، ما عدا ما فرض منها شرعاً كصلاة الجمعة والعيدين.

وممّا ساعد المنبر الحسيني على توسيع مقبوليته لدى الجمهور، هو اعتماده على منهجية ذات أُسس علمية (بالاعتماد على فن الخطابة)، وفي الوقت نفسه ذات صبغة إسلامية جلية من خلال مقارنته مع القرآن والروايات، فالقرآن الكريم قد تعرّض لمقاتل عدّة في آياته، منها: مقتل هابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج١، ص٣٧.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، كما أنّ الروايات تضافرت على بكاء النبي صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام، وفعله حجة بإجماع المسلمين، إضافة إلى دور أهل البيت عليهم السلام في بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ومنها: خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد (لعنه الله) «... **فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له فليصعد المنبر، فلعلّنا نسمع منه شيئاً. فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا ؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد زُقوا العلم زقاً. قال: فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبةً أبكى منها العيون...**»[2]. وهذا ما أعطى للمنبر الحسيني شرعية واضحة، سواء في تعرضه لمقتل الإمام الحسين عليه السلام أم الاعتماد عليه في طرح موضوعات دينية عقدية وأخلاقية تربوية.

وللمنبر الحسيني ـ باعتبار ما له من أُصول وخصوصيات ـ أُسلوب ونمطية خاصّة في تناول المسائل العقدية؛ ليضمن معها بناء عقيدة صالحة لدى الجمهور بما يلائم مستوياتهم الفكرية، ويشمل مختلف الموضوعات العقدية، ويحقّق أكبر مساحة تبليغية لدى الجمهور. ويظهر ذلك من خلال بيان النقاط الآتية:

١ـ إنّ المنبر الحسيني مكلّف بمخاطبة الجمهور، فخطابه يتسم بالعمومية، وهذا ما يحمله على مراعاة العقلية والنفسية والثقافة العامّة، ويتحرّى الموضوعات الملائمة لذلك، ويتجنب ما يولد الشبهة لديهم، وما يحتاج إلى نوع من الإطناب الذي لا يلائم المقام. وبعبارة أُخرى: على الخطيب اختيار مادته الخطابية بدقة؛ لأنّ غرضه إقناع الجمهور كما تقدّم، والتعرّض للمسائل العقدية بشكل معمّق يُخرجه عن وظيفته الأساسية.

---

(١) المائدة: آية٢٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨.

٢ـ من مقتضيات الصناعة الخطابية توظيف القضايا المشهورة، التي توجب الظنّ أو التصديق لدى الجمهور، واستعمال القياس والتمثيل مع إضافة العناصر الأُخرى، كعنصر العاطفة والإثارات القصصية وغيرها؛ لأنّ الاقتصار على طرق الاستدلال المنطقية لا يحقق غرضه في الإقناع، وهذا ما يبتعد عنه الجمهور ولا يستسيغه، فإذا تقيّد بذلك، أصبحت موضوعاته مرتبطة بالمسائل العامّة في العقيدة، دون الخوض في الجزئيات الدقيقة.

٣ـ تعدد موضوعات فن الخطابة يجعل المنبر الحسيني في سعة من هذه الناحية، فله أن يختار أيّ موضوع عقائدي للبحث فيه وبيان آثاره الدنيوية والآخروية، وإقناع جمهوره للالتزام به، بمعنى أنّ بناء العقيدة في ثقافة الجمهور تكون على نحو الإجمال لا التفصيل؛ لأنّ التفصيل في مقدّمات الموضوع ومسائله قد تكفّلت به مجالس العلم الخاصّة.

٤ـ يتحرّى المنبر الحسيني الشمولية في موضوعاته، ولا يتسنى له ذلك عند طرح الموضوعات العقائدية بشيء من التركيز؛ لأنّ توضيح كلّ موضوع يرتبط بأُصول الدين أو فروعه، بحاجة إلى بيان حججه الإقناعية وطرقه الاستدلالية، وكذلك بيان آثاره على الصعيد الأُخروي، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي، وهذا ما يحتاج إلى سعة من الوقت قد لا تتوفر غالباً لدى الخطيب؛ ولذا عليه أن يتجنّب الخوض في التفاصيل؛ لضمان استيعاب هذه الجوانب.

٥ـ عقد المجالس الخاصّة كمجالس المجتهدين في أروقة الحوزات الدينية، والأكاديميين في قاعات الجامعات، وهي مجالس تعقد للعلوم المحضة، وبيان مقدّماتها ومسائلها وطرق الاستدلال عليها تفصيلاً، وهي تقتصر على مجموعة خاصّة مؤهلة لدراسة هذه الموضوعات وبطريقة علمية، أمّا المنبر الحسيني فمقيّد بمنهجه الخاصّ، الذي يختلف من جهات عدّة عن طبيعة هذه المجالس، بل يستعين بها في براهينه واستدلاله على القضايا التي تثبت حجيتها من خلال هذه المجالس،

ولا ينبغي تحميل المنبر الحسيني شيئاً ليس من صميم مهمّته التبليغية.

فيتبيّن لنا من خلال هذه المنهجية التي يتسم بها المنبر الحسيني أنّ من اهتماماته هي زيادة الوعي عند الفرد المسلم، ويبدأ الوعي في تبني العقيدة الصحيحة الصالحة، والرؤية الحقيقية للدين، لا أنّه في معزل عن العقيدة، بل هو نابع من تبنّي العقيدة الحقّة في الإمامة والنبوة، التي تعود إلى التوحيد والطاعة لله تعالى، غاية الأمر أنّه أُسلوب توجيهي له نمطه الخاصّ، الذي يعتمد في منهجيته على القرآن الكريم وما حقّقه العلماء في فن الخطابة مع ما له من خصوصيات من جهة ارتباطه بقضية الإمام الحسين عليه السلام، والالتزام بتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فأضحى له الدور البارز في توجيه الناس وبناء عقيدتهم الصالحة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.

٢ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ـ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

٤ـ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي المعروف بابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الثانية،١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش.

٦ـ التربية الدينية دراسة منهجية للأُصول العقيدة الإسلامية، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٧ـ تفسير جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٨ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المطبعة: المغرب، ١٣٨٧هـ.
٩ـ التوحيد، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٠ـ جامع الأحاديث، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جمع وترتيب: أحمد صقر، وأحمد عبدالجواد، دار الفكر، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١١ـ الخطابة، أرسطو طاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م.
١٢ـ دعائم الإسلام، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
١٣ـ ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
١٤ـ شذرات من فلسفة تأريخ الحسين عليه السلام، محمد محمد صادق الصدر، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٥ـ الشفاء (المنطق)، الحسين بن عبد الله ابن سينا، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، إيران ـ قم، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٦ـ الغدير، عبد الحسين بن أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٧ـ غرر الحكم ودرر الكلم، أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن رهيني، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٨ـ فاجعة الطف (أبعادها ثمراتها، توقيتها)، محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، دار الهلال.
١٩ـ فن الخطابة، أحمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.
٢٠ـ الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢١ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قدم له وعلق حواشيه: الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٢ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٢٣ـ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٤ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى ابن طاووس، الناشر: أنوار الهدى، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٥ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٢٦ـ المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، المطبعة: سليما نزاده، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٨ـ المنطق، محمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٩ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٠ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، المطبعة: أسوه، ١٤١٦هـ.